نقد الشعر

لأبي الفرج قدامة بن جعفر

تحقيق وتعليق
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

نقد الشعر

لابي الفرج قدامه بن جعفر

•

تحقيق وتعليق

الدكتور

محمد عبد المنعم خفاجي

•

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



المدخل إلى الكتاب

تقـــديم

هذا هو « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر (٢٦٠ – ٣٢٧هـ : ٨٧٢ – ٩٤٨م) ، الذي يعد أول أثر نقدي علمي مشهور في الأدب العربي .

أقدمه للباحثين في صورة جديدة ، من التحقيق العلمي ، معتـــزاً بالكتاب ، وبعملي فيه ، سائلاً الله عز وجل أن يفيد به القراء والدارسين والباحثين ، وأن يجعله ضوءاً هادياً في طريق البحث النقدي والأدبي .

وما توفيقي إلا بالله .

المحقق

طبعات الكتاب

١ ــ نقد الشعر لقدامة ــ نشر س ١٠ بونيباك ــ مطبعة بريل ــ ليدن ١٩٥٦ .

٢ ــ نقد الشعر لقدامة ــ طبع الجوائب ١٣٠٢هـ .

٣ ــ نقد الشعر لقدامة ــ تحقيق محمد عيسى منون ١٣٥٢هـ ، ١٩٣٤م.

٤ ــ نقد الشعر لقدامة ــ تحقيق محمد كمال مصطفى ونشر مكتبة الخانجي ــ القاهرة .

كتب مفقودة

١ ــ تبيين غلط قدامة للآمدي (٣/٨٥ معجم الأدباء نشر مرجليوث)

٢ ــ تزييف نقد قدامة لابن رشيق كما ذكره ابن أبي الأصبع في مقدمه كتابه « بديع القرآن » ويبدو أنه ليس صحيح النسبة لابن رشيق .

٣ ــ شرح نقد الشعر لقدامة ، لعبد اللطيف البغدادي (ــ ٦٢٩هـ) : راجع ترجمته في فوات الوفيات .

٤ ــ كشف الظلامة عن قدامة ــ للبغدادي نفسه أيضاً .

تصدير الكتاب

(١)

قدامة بن جعفر [٢٦٠ أو ٢٧٦ – ٣٣٧هـ : ٨٨٩ – ٩٤٨م] أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية ، ودفعوا بها إلى الأمام دفعات قوية، ووجهوا النقد والنقاد وجهة جديدة استمر صداها على طول العصور .. وكتابه « نقد الشعر » صار أصلاً لجميع الدراسات النقدية العربية ، لأنه استحدث مذهباً جديداً فيها صار قدامة صاحبه ، وله فضل الكشف عنه .

وكان لآراء قدامة في كتابه صدى كبير عند النقاد القدماء ، بل لقد أحدث ضجة كبيرة في وسطهم :

– فالآمدي (– ٣٧١هـ) ألف كتاباً في « تبيين غلط قدامة » في كتابه « نقد الشعر »[١] .

– وعبد اللطيف البغدادي (– ٦٢٩هـ) له كتاب في شرح « نقد الشعر » لقدامة[٢] ، وكتاب بعنوان « كشف الظلامة عن قدامة »[٣] .

– وابن رشيق له كتاب « تزييف نقد قدامة » فيما ذكره ابن أبي الاصبع المصري في كتابه « تحرير التحبير » .

وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء ، والفلاسفة الفضلاء ، كما يقول مؤرخوه[٤] . ونسب إليه كتاب « نقد النثر » ، الذي حققه الدكتوران: طه حسين وعبد الحميد العبادي . وقد وجدت نسخة خطية كاملة من الكتاب نفسه في مكتبة تشستر بيتي برقم ٧٦٧ تحت عنوان كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب

الكاتب ، فصحت نسبة الكتاب لابن وهب المعاصر لقدامة ، بعدما ثار جدل كبير حول نسبته لقدامة . وكان الذي نشر منه ، اعتماداً على نسخة الأسكوريال[٥] باسم « نقد النثر » بتحقيق الدكتور طه حسين والعبادي هو نحو ثلث الكتاب وقد نشر الدكتور أحمد مطلوب في بغداد الكتاب كاملاً أخيراً .

ولقدامة كتب كثيرة ، منها : سر البلاغة في الكتابة ، وصنعة الكتابة والألفاظ ، والخراج ، وله كتاب آخر أشار إليه ياقوت في « معجم الأدباء » وهو الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه أبا تمام[٦] .

(٢)

وقدامة يرى في مقدمة « نقد الشعر »[٧] أن كتابه أول كتاب يؤلف في النقد ، فيقول :[٨] « ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر – أي النقد – أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر ، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع » .

وهو يغفل جهود العلماء السابقين في تأصيل قواعد للنقد ، كالأصمعي في « فحولة الشعراء » وابن سلام في « طبقات الشعراء »[٩] ، والجاحظ فيما كتبه في النقد في كتابيه « البيان والتبيين » ، و « الحيوان» وغيرهما وابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ، والمبرد في كتابه في « قواعد الشعر » وثعلب في كتاب له بعنوان « قواعد الشعر » أيضاً ، الذي حققته ونشر عام ١٩٤٨ ، وابن المعتز في كتابه « البديع » وسوى هؤلاء الأعلام الخالدين في تراثنا العربي النقدي .

وقد فصل قدامة في كتابه مذهبه في النقد ، فقسم الشعر إلى عناصره الأولى المفردة : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وإلى عناصر أربعة أخرى مركبة من هذه العناصر . ويذكر أن الشعر قد يكون جيداً ، أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى[١٠] ، ويقول : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغ به غاية الجودة ،

فإن وجد بضد هذه الحال كان شعراً في غاية الرداءة ، وإلا فهو بين بين ، أي بين طرفي الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسطه بينهما .

ومن صفات المعنى الجيد عنده ، الوفاء بالغرض المقصود ؛ أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الاقتصار على الحد الوسط . ويقول : إنه عنده أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم «أعذب الشعر أكذبه» ، وهو كذلك مذهب فلاسفة اليونان في الشعر على لغتهم ويقصد بهم أرسطو صاحب أول مدرسة نقدية في التراث النقدي الأوربي ويؤكد قدامة أن الغلو يعد من باب الخروج عن الموجود والدخول في باب المعدوم ، فالمراد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ولما كانت المعاني عند قدامة لا نهاية لها فقد عدد نعوت الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف الخ ..

ومن أغراض الشعر عنده المدح والهجاء ، والمدح الجيد عنده نعته هو الصدق وأن يكون بالصفات الأربع : العفة والشجاعة والعدل والعقل أو ببعضها . وقد يصف الشاعر الممدوحين ببلوغ الغاية في هذه الصفات من باب الغلو والمبالغة .

والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته مضادة لصفات المدح ، وليس بين المدحة والمرثية فرق عنده إلا في اللفظ دون المعنى ، وهذا خطأ ما بعده من خطأ ، لأن التجربة الشعرية في المدح غيرها في الهجاء ، ولعل عبد الصمد بن المعذل [— ٢٣٠هـ] هو أول من قال بهذا الرأي حيث روى عنه ابن رشيق في العمدة (١ : ١٠٣) أنه قال : «الشعر كله في ثلاث لفظات : إذا مدحت قلت : أنت ، وإذا هجوت قلت : لست ، وإذا رثيت قلت : كنت » ونحن لا نوافقه على ذلك كله .

(٣)

إن هذا المنهج العقلي المحض في النقد الذي سار عليه قدامة ، صار حديث النقاد في عصره وبعد عصره .

ولقد تأثر قدامة فيه بالثقافات العقلية التي كانت سائدة في عصره، والتي تتلمذ عليها، وأخذ منها، ففي البصرة وفي القرن الثالث الهجري، التقت الثقافات المختلفة التقاء فكرياً على نحو رائع، ونشأت طبقة من المثقفين الذين تثقفوا على هذا الفكر الانساني، وكان في مقدمتهم المعتزلة الذين رجعوا إلى المنطق اليوناني، وقرأوا فلسفة أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان، وترجموا آراء الأمم الأخرى في البيان ومناهجه، كما ترجموا كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية فالشعر ترجمه مختصراً الكندي (–٢٥٣هـ)، والخطابة ترجمه إسحاق بن حنين (–٢٩٨هـ).

وأخذت هذه الطبقة تؤلف في «صناعة الشعر»، وللكندي – أول الفلاسفة العرب – رسالة في صناعة الشعر[١١]، ولأبي زيد البلخي كتاب بهذا العنوان أيضاً[١٢]، وكذلك لأبي هفان المهزمي راوية شعر أبي نواس[١٣].

وكان متكلمو المعتزلة، بتضلعهم من الفلسفة اليونانية، أصحاب آراء كثيرة في النقد والبيان.

ومن البدهي أن يقرأ قدامة ابن البصرة كل هذه الثقافات، وأن يتأثر بها وقد أفاد ناقدنا قدامة من كتابي أرسطو في الخطابة والشعر، وإن كان الدكتور طه حسين يرى أنه كان يجهل كتاب الشعر[١٤].

وعلى أية حال فإن قدامة بمنهجه العقلي في النقد يباين مناهج النقاد العرب الأصلاء، من مثل: الأصمعي، ابن الأعرابي، ابن سلام، الجاحظ، ابن قتيبة، ابن المعتز، وغيرهم، وإن هذا المنهج الذي وضع قدامة أساسه يعد أكبر وأجرأ خطوة نحو تدوين البلاغة العربية وأصول البيان والنقد. وحسبنا أن ثلاثة من كبار النقاد العرب قد أولوا منهجه عناية خاصة، وتأثروا به تأثراً عميقاً، وهم:

١ – أبو هلال العسكري في كتابه «الصناعتين».

٢ – ابن رشيق القيرواني في كتابه «العمدة».

٣ – ابن سنان الخفاجي في كتابه « سر الفصاحة ».

كما تأثر علماء البلاغة والبديع تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد الشعر ».

ومن البدهي أن يستفيد قدامة من ابن المعتز (– ٢٩٦هـ) وكتابه « البديع » فائدة كبيرة ، فكثير من أسباب الجودة عند قدامة هي مما ذكره ابن المعتز في كتابه البديع على أنها من صنعة الشعر ومحسناته الفنية .

إن منهج قدامة النقدي في كتابه « نقد الشعر » يعتبر ثورة فكرية عميقة ظهر صداها في تراثنا النقدي ، وصار قدامة حديث العلماء والنقاد من بعده ولا يزال صداه وصدى فكره النقدي قوياً وسائداً في تراثنا حتى اليوم .

المراجع

(١) ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح ، معجم الادباء لياقوت في ترجمة الآمدي ·

(٢) ٧/٢ فوات الوفيات لابن شاكر ، ولعبد اللطيف البغدادي كتاب « قوانين البلاغة » ، واختصر كتاب « الصناعتين » للعسكري (٨/٢ فوات) ويروي صاحب كشف الظنون أن للبغدادي كتابا اسمه تكملة الصلة في شرح « نقد الشعر » ٢٤٦/١ ، وكتابا آخر اسمه « كشف الظلامة عن قدامة» (٤٠٠/٢ كشف الظنون) · ولعل الكتاب الاول هو الاسم الكامل لشرح البغدادي لنقد الشعر · وينسب لابن رشيق القيرواني كتاب بعنوان « تزييف نقد قدامة » (٨٨ تحرير التحبير لابن ابي الاصبع) ، ويرجح أنه ليس لابن رشيق صاحب العمدة ·

(٣) ٤٠٠/٢ كشف الظنون ·

(٤) ٢٠٣/٦ ـ ٢٠٥ معجم الادباء لياقوت ، ١٨٨ الفهرست ، ٢٤/٢ كشف الظنون ، تاريخ بغداد في ترجمة قدامة بن جعفر ـ والنقد الادبي للدكتور بدوي طبانة ، وكتاب قدامة للدكتور طبانة ·

(٥) تحت رقم ٢٤٣ ·

(٦) ٢٠٤/٦ معجم الادباء ·

(٧) طبع طبعات عديدة : فقد نشره س · ابو نيباكر بمطبعة بريل في ليدن عام ١٩٥٦ ـ ومن قبل طبع في الجوائب عام ١٣٠٢ ، وطبع في القاهرة طبعة أخرى عام ١٩٣٤ بتحقيق محمد عيسى منون ، وبشرح آخر لكمال مصطفى ·

(٨) ١٢ نقد الشعر ط · القاهرة ١٩٣٤ ·

(٩) يرى الكثير من الباحثين أن طبقات الشعراء لابن سلام هو اول مؤلف عربي في النقد (راجع النقد المنهجي عند العرب لمندور ، ٧٤ تاريخ

النقد الادبي عند العرب لطه ابراهيم ، ٢/١٠٨ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان) ٠

(١٠) نقد الشعر ٠

(١١) ٢٥٩ الفهرست لابن النديم ٠

(١٢) ١٩٨ المرجع نفسه ٠

(١٣) ٢٠٧ المرجع نفسه ٠

(١٤) ص ٧ مقدمة نقد الشعر ٠ وقدامة في رأي كثير من المستشرقين استفاد من كتاب « الخطابة » لارسطو لا من كتاب « الشعر » له ٠ وفي رأي د٠ ابراهيم انه استفاد منهما معا ـ وكان قدامة من اسرة مسيحية أقامت بالبصرة وأسلم في عهد المكتفى بالله العباسي (٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ : ٩٠٢ ـ ٩٠٨ م) وتولى في آخر حياته منصب صاحب البريد ٠

تمهيد

(١)

١ ــ استعملت اللغة العربية لفظ النقد لمعان مختلفة :

الأول : تمييز الجيد من الرديء ، قالوا : نقدت الدراهم وانتقدتها : أخرجت منها الزيف وميزت جيدها من رديئها ، ومنه : التنقاد والانتقاد وهو تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها .

والثاني : العيب والانتقاص ، قالت العرب : نقدته الحية إذا لدغته ، ونقدت رأسه بأصبعي إذا ضربته ، ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها . وفي حديث أبي الدرداء : إن نقدت الناس نقدوك ، ومعناه : إن عبتهم وجرحتهم قابلوك بمثل صنعك .

واستعمل الأدباء العرب كلمة النقد[1] بالاستعمالين لنقد الكلام شعره ونثره على السواء ؛ وبدأ ظهور ذلك في القرن الثالث الهجري على وجه التقريب يقول البحتري عن أبي العباس ثعلب : ما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً للألفاظ ، ورد عليه آخر فقال أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه[2] ، وألف قدامة كتابيه : نقد الشعر ، ونقد النثر ، وألف ابن رشيق « العمدة في صناعة الشعر ونقده » .

وسار النقاد العرب في نقدهم على كل من الاستعمالين :

١ ــ استعملوه في القديم وفي الحديث على معنى التحليل والشرح

(١) الجاحظ رسالة في نقد الكندى (٤٢ الجاحظ لمردم) .
(٢) ١٩٥ دلائل الاعجاز .

والتمييز والحكم ، فالنقد عندهم دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها ، وأكثر الذين كتبوا في النقد العربي مشوا على هذا المعنى[1].

٢ – واستعملوه كذلك بمعنى العيب والمؤاخذة والتخطيء، فألف المرزباني كتابه « الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء » ، ويريد بالعلماء النقاد ، ولا يزال النقد مستعملاً بهذا المعنى حتى اليوم عند بعض النقاد المعاصرين ، ويقابله التقريظ وهو المدح والإعجاب من قرظ الجلد إذا دبغه ، وذلك إنما يكون للتحسين والتزيين[2] .

(٢)

ويعرف المحدثون النقد – بناء على المعنى الأول في الاستعمال اللغوي – فيقولون : إنه التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه[3] ، فكلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق الحكم ، وهو مفهوم نلحظه في كل استعمالات الكلمة حتى في أشدها عموماً[4] ، والنقد الأدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء[5] .

فللنقد مهمتان مختلفتان ، مهمة التفسير ، ومهمة الحكم ، أي إصدار الأحكام الأدبية في قضايا الأدب ومشكلاته .

(٣)

ومن الضروري أن نعرف أن النقد بدأ منذ استمع الإنسان إلى الأدب – شعراً ونثراً – بأحكام عامة مقتضبة موجزة لا تحمل تعليلاً ، ولا

---

(١) ١١٤ و ١١٥ اصول النقد الادبي للشايب .
(٢) ص ١١٤ المرجع السابق .
(٣) ص ١١٦ نفس المرجع .
(٤) ١٧٣ النقد الادبي لاحمد امين ١٩٦٣ .
(٥) ٦ في الادب والنقد لمندور .

تستصحب أسبابها .. شأن الأحكام العامة التي يرشد إليها الذوق ، ويكون للفطرة الأدبية مدخل فيها ، دون أن تتأثر بنزعة علمية ، أو منهج عقلي ، أو أسس موضوعة .

كذلك كان شأنه في الأدب في العصر الجاهلي ، حكم دون تعليل ، لأن أحكام الذوق والفطرة التي لم تسترشد بمناهج أو أصول موضوعة لا بد أن تكون كذلك . ثم أخذ يرتقي العقل ، وينضج الحس الأدبي ويرتفع مستوى الملكات ، وبدأ العقل لا يقنع بأن يرسل إرسالاً دون أن يوضحه توضيحاً ، فأخذ يومىء من بعيد وعلى سبيل الرمز والتلويح إلى السبب وبعد أن بدأ تدوين العلوم والثقافات ، وأخذ العقل العربي يضع أصولاً للبيان والنقد ، بدأت أحكام النقد تصطبغ بصبغة علمية موضوعية ، فالحكم بجانبه السبب والعلة ! والنقد يحمل معه طابع التوجيه والتعليل للوصول إلى أحكام موضوعية .

وجملة الأمر أن النقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر ، وأنه عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية[1] .. هو تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها ، وبيان قيمتها العامة ، والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار .. وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار[2] .

والخطابة والشعر لأرسطو هما المرجع الأول لكل الدراسات في النقد والبلاغة[3] ، فأرسطو أول من كتب في النقد الأدبي ، ووضع في كتابه « فن الشعر » قواعد للبلاغة بنى عليها طريقته في النقد[4] .

---

(١) أصول النقد الادبي للشايب .
(٢) ص ٩٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .
(٣) اصول النقد الادبي .
(٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديث في أوربا ، وعلى رأسها : سانت بوف (١٨٠٤ – ١٨٩٦) ، وتين (١٨٢٨ – ١٨٩٣) وبرونتيير (١٨٤٩ – ١٩٠٧) ، وجول لبمتر[١] (توفي عام ١٩١٧) .

والنقد في الآداب العربية هو « شرح الشعر تقرير طريقة الشعر الجاهلي لتكون منهجاً للشعراء ، لا حركة العقول والأفكار[٢] وأكبر مظاهره عندهم هو علم البلاغة[٣] .

وهكذا نجد أن أصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، وأن الغرض منه كما يقول بعض النقاد دراسة الأساليب أو نفوس الكتاب أو دراسة الآراء والأفكار .

على أن النقد ذو صلة وثيقة بالذوق ، وليس هو مطلق الذوق ، بل ذوق ذوي الثقافات الأدبية العالية . والنقد عند كثير من النقاد فن وليس بعلم ، فليس عندهم قاعدة ثابتة .

(٤)

١ – وإذا كانت كلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق (الحكم) ، وكان « النقد الأدبي » هو إصدار حكم على الآثار الأدبية ، فإن الأدب الإنشائي يخالف الأدب النقدي الذي هو من الأدب الوصفي ، فالإنشائي هو تفسير للحياة في صور مختلفة من الفن الأدبي ، والأدب النقدي هو تفسير لهذا التفسير ولصور الفن التي يوضع فيها ، وكما يأخذ الأدب من الطبيعة والحياة فإن النقد كذلك يأخذ منهما عن طريق غير مباشر ، ولذلك يقول الناقد وليم وطسون عن الشعراء « وقد اعتبرت هؤلاء كجزء من عظمة الطبيعة » .

---

(١) راجع مقدمة لدراسة بلاغة العرب واصول النقد الادبي للشايب ، ٤٥ – ٥٠ الادب الجاهلي .

(٢) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٣) ٦٩ المرجع نفسه .

وإذا كان في الإمكان الرجوع إلى المصدر الأول وهو الطبيعة دون الرجوع إلى النقد ، فإن النقد يوحي ويشجع وينير السبيل ، ويلهم الأدباء أنفسهم اتجاهات جديدة ، وللنقد قيمته الذاتية في أنه تعبير عن الناقد نفسه ، عن شخصيته وفكره ومذهبه ومنهجه .

٢ – إن وظيفة النقد الأدبي هي في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية وقيمته التعبيرية والشعورية ، وتوضيح منزلته وآثاره في الأدب ..

يرى سانت بيف أن وظيفة النقد الأدبي هي النفاذ إلى ذات المؤلف ، لتستشف روحه من وراء عبارته بحيث يفهمه قراءه ، وفي ذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب . فالنقد على حد تعبيره يعلم الآخرين كيف يقرأون ، ولذلك كان على النقد أن يتجاوز القيم الجمالية العامة إلى بيان روح العصر من خلال نفسية المؤلف ، فوظيفة النقد هي تفسير العمل الأدبي للقارىء لمساعدته على فهمه وتذوقه ، وذلك عن طريق فحص طبيعته وعرض ما فيه من قيم[1] .

ويحمل وردزورث على النقد ويعده عبثاً ، لأن المقدرة على النقد أحط من المقدرة على الإنشاء ، ومن قبل حمل أفلاطون على الشعر وعابه بأنه تقليد للتقليد .

ولا شك أن ذلك أمر لا يوافقه عليه ناقد آخر ، فإن النقد يوجه ويثري الأدب ، ويعلي من منزلته في الحياة ، ولا غنى للحياة ولا للأدب ولا للأدباء عنه ، وهو الذي يخلق المناهج والمذاهب الأدبية ، ويقوم أعمال الأدباء ، ويوصي باختيار النماذج الجيدة من الأدب ومحاكاتها ، ويغرس حب الجيد منه في نفوس الدارسين والناشئين ويعودهم على مثل هذا الجيد منه .

---

(١) راجع ٥٣ ــ ٩٦ الادب وفنونه لعز الدين اسماعيل .

والنقد الادبي يتنوع إلى :

١ ـ **النقد الذاتي أو التأثيري** : وهو الذي يقوم على الذوق الخاص، ويعتمد على التجربة الشخصية ، ويبتعد عن المنهج الموضوعي العلمي .

٢ ـ **النقد الموضوعي** : وهو الذي يركن إلى أصول مرعية وقواعد عقلية مقررة ، يعتمد عليها في الحكم ، كطريقة قدامة في كتابه « نقد الشعر » .

٣ ـ **النقد الاعتقادي** : وهو النقد الذي تتحكم فيه عقائد وآراء خاصة عند الناقد . وهو يحمل في طياته معنى التعصب والميل إلى نزعة خاصة ، وكلما تحرر الناقد في نقده وآرائه ومعتقداته الشخصية كان نقده عادلاً وأكثر إنصافاً وصدقاً وتحرياً للحقيقة ، إذ أن تجرد الناقد من هواه وآرائه شرط أساسي لسلامة أحكامه النقدية من الجور .

٤ ـ **النقد التاريخي** : وهو النقد الذي يحاول تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب ، فهو يعني بالفهم والتفهيم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة وتفسير الظواهر الأدبية أو المؤلفات أو شخصيات الكتاب يتطلب معرفة بالماضي السابق لهم ، ومعرفة بالحاضر الذي أثر فيهم .

٥ ـ **النقد اللغوي** : وهو الذي يحكم فيه على أساس اللغة وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة .

وفي النقد الموضوعي والذاتي يقول السحرتي[1] : النقد الموضوعي هو النقد الذي يتناول العمل الأدبي من نصوصه ، ويكشف عما فيها من حقائق ، وما يرقد وراءها ، وعن مميزاتها ، والمادة الجديدة أو المطروقة التي تنطوي عليها . فهو نقد كاشف لجوهر الموضوع وروحه

(١) مجلة قافلة الزيت عدد ذي الحجة ١٣٨٤ هـ .

في تجرد وإنصاف وحيدة . والناقد الموضوعي في كشفه واندماجه في العمل المنقود أقرب شبهاً بالنحلة التي تحوم حول الزهر ، فتقع عليه وتمتص رحيقه ، وتخرجه عسلاً فيه من الزهر لونه وعطره ونكهته .

وعلى العكس من هذا ، النقد الذاتي ، فهو نقد ذو طابع غير مقنع ، لأنه لا يهتم بالنصوص ، بل كل اهتمامه بأثرها على نفسه ، ومقياس الناقد فيه هو شعوره وذوقه ، وعواطفه وأهواؤه ، وهو ليس نقداً في الحقيقة ، إنما هو تعبير عن سمات الناقد ، وترجمة ذاتية لما يجري في عقله الغافي ، أو عقله الواعي ، ومثل هذا النقد قد يكون مقالاً لذيذاً ، أو نقاشاً ذكياً عن موضوع يتناوله الكتاب المنقود ، ولكنه بعيد عما تناوله الكتاب المنقود ، فالناقد يكشف به عن معرفته بالموضوع ، وزكانته ، أو يبرز فيه انفعالاته نحو الكتاب ، والناقد في سلوكه هذا أقرب ما يكون شبهاً بالطاووس الذي يعجب بريشه المزركش المونق ، ولا يعجب بما حوله ، إلا اعجاباً عابراً .

ومثل هذا النقد لا جدوى من ورائه ، فهو لا يضرّ ولا ينفع ، بل قد يضرّ في كثير من الأحيان ، إذا كان الناقد من ذوي الطبائع المنحرفة ، أو كان بينه وبين المنقود خصومة فيتخذ من قلمه حبلاً ليشنق المؤلف به ، كما يقولون .

والنقد الموضوعي يقوم على ركنين جوهريين : أولهما اهتمام الناقد بموضوع العمل الأدبي المنقود ، وحبه لفنه ، وثانيهما طبيعة الناقد وخلقه القوي ، الذي يكبح جماح عواطفه الشرود ، أو انفعالاته النازلة . فالاهتمام هو الركن الركين الذي يجعل الناقد يفتح قلبه وعقله للعمل ، المنقود ، ويقوده لاحتضانه والاستغراق في مادته ، في مودة واحترام ، حتى إذا ما بلغ من غايته ، وقف من العمل الأدبي موقف الحياد ، وتوضيحه ، وبيان حسناته وهفواته .

فعملية النقد الموضوعي تمثل الاهتمام ، أو الشغف بالموضوع ،

وهذا الاهتمام هو في البداية ، نزعة ذاتية، ولكن الاستمرار في ارتياد مجالات العمل الأدبي تنقل الناقد إلى النظر في العمل المنقود نظرة واقعية ، تسود نقده فيما بعد .

وهذه النظرة تستلزم من الناقد أن يكون ذا طبيعة قوية سوية ، وبدون هذه الطبيعة السوية التي تتجرد من عواطفها وانفعالاتها لا يقوم الركن الثاني للنقد الموضوعي .

وتوضيحاً لهذه الحقيقة ، نقول : إن الناقد الذي يقحم نفسه في نقد الشعر دون ما شغف به واهتمام وممارسة ، لن ينفذ إلى جوهره وروحه ، ولن يستطيع التغلغل في جماله ومضمونه . ونقده عندئذ لن يكون إلا نقداً سطحياً هزيلاً ، أو عابراً طائراً محوّماً حومان الفرفر على الأزهار . فإذا كان الناقد من ذوي الطبائع المنحرفة المريضة ، فنقده يكون مؤذياً أشبه بالعنكبوت الذي يترك آثاره السامة في الحديقة .

ونبادر فنقول : إن النقد الموضوعي قد لا يكون نقداً شاملاً لعناصر المنقود من الناحيتين الجمالية ، والمضمونية ، فقد يلقى النقد بؤرة اهتمامه على زاوية من زوايا العمل الأدبي ، بأن يتناول محتواه ومضمونه ، أو يتناول البيئة التي نما فيها العمل الأدبي وازدهر ، أو ينظر إلى شخصية الكاتب التي أثمرت هذا العمل ، أو بمعنى آخر ، قد يكون النقد داخلياً ، أو خارجياً ، حسب اتجاه الناقد ومذهبه النقدي. وتناول هذه الزوايا يدخل في النطاق الموضوعي إذا ظهر إخلاص الناقد في نقده ، وإذا وضع نصب عينيه النص الذي يفسره أو يقدره أو يحكم عليه ، في حياد وبلا إسراف .

فكل نقد مخلص شريف متصل بالنص ، سواء ألقى أضواء جانبية ، أو أضواء غامرة على النص ، هو نقد موضوعي ما دامت غايته خدمة الأدب ، ولفت الأبصار إلى الموهوبين .

وإذا أبحنا للناقد الاهتمام بزاوية نقدية ، أو منطقة نقدية محدودة

يتناولها فليس معنى هذا أنه يتخذ منها وحدها المعيار النهائي لحكمه ، بل إن اهتمامه ينبغي أن يتحول إلى العناصر الأخرى ، والنظر إليها نظرة كلية وإلا خرج على الموضوعية .

فالناقد الذي يصب كل اهتمامه على الناحية الجمالية ، دون أي اعتبار للمضمون ، فيرفع العمل الأدبي أو يهوى به إلى الحضيض بالنظر إلى جماليته ، يجانف بعمله هذا ، سبيل الموضوعية ونظيره هذا الناقد الذي يغرم بمضمون في العمل الأدبي يتواءم مع هواه فيرفعه إلى القمة ، دون نظر إلى جمال أدائه ، فمثل هـذا الناقد يجانب الموضوعية ، ولا يصل إلا إلى حكم أبتر على العمل المنقود .

النقد الأدبي عند العرب

النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلاً ، وكان هيناً يسير ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه[1] ، عربي النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم[2] .

وُجد في أطوار تهذيب الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة[3] وفي حكومة أم جندب بين امرىء القيس وعلقمة[4] ، وحكومة النابغة بين الشعراء ، «وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء فتنشده أشعارها »[5] ، وفي حكم ربيعة بن حذار الأسدي على الزبرقان والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم[6] . ووجد في نقد الشعراء للشعر : فامرؤ القيس يمر بكعب وأخويه الغضبان والقعقاع فأنشدوه فقال : إني لأعجب كيف لا تمتلىء عليكم ناراً جودة شعركم فسموا بني النار[7] ، ويقول النابغة : اشعر الشعراء من استجيد كذبه وأضحك رديئه[8] ، وسمي كعب الغنوي كعب الأمثال

---

(١) ٢٤ تاريخ النقد الادبي عند العرب ·
(٢) ص ٢٥ المرجع ·
(٣) راجع ٣٧٩ جـ ٣ العقد ·
(٤) راجع ١٢٨ جـ ٧ الاغاني ، وقد نقد الرافعي هذه الحكومة ورأى أنها جائرة (٢٢٥ ــ ٢٣٤ جـ ٣ آداب العرب للرافعي) · وتابعه في ذلك محمد هاشم (١٨٤ الادب العربي في العصر الجاهلي) ويرتاب باحث في هذه القصة ، ويرى ان امرأ القيس غير مقصر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرىء القيس (٢١ و ٢٢ تاريخ النقد عند العرب) ·
(٥) ١٢٣ الشعر والشعراء ·
(٦) تاريخ النقد الادبي عند العرب ·
(٧) ٧٠ من المؤتلف للآمدي ·
(٨) ٢٥٦ سر الفصاحة لابن سنان ، ٥٠ و ٥٧ : ١ العمدة

لكثرة ما في شعره[1] منها ، وسمي طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها ، والنمر بن تولب « المحبر » لحسن شعره[2] ، وسموا قصيدة سويد ابن أبي كاهل « بسطت رابعة الحبل لنا » اليتيمة كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان الشوهاء لحسنها[3] ، ويقول زهير ويروى لحسان :

وإن آشعر بيت أنت قائله   بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفة نفسه[4] .. إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

---

(١) ٣٤١ معجم الشعراء ·

(٢) ١٨٤ المؤتلف ، ١١٢ : ٢ العمدة ·

(٣) ٢٢٥ : ١ وبيان والتبيين ·

(٤) ٢٠ الجمهرة ، ٣٨٠ : ٢ العقد ، ويقول ابن عبد ربه :

وهذا ـ أي تفضيل شاعر وانه أشعر الشعراء ـ مما لا يدرك غايته ولا يوقف على حد منه ، والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتي منه بديع ، الا مـا أتى ما هو أبدع منه ، ولله در القائل : أشعر الناس من أنت في شعره (٣٨١: ٣ العقد) ·

النقد الادبي في القرن الاول

اخذ النقد في القرن الأول الهجري يسير في طريق النضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقاداً بفطرتهم وذوقهم ، فأبو بكر يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم قعراً[1] ، وكان عمر يتذوق الشعر وينقده[2] وقدم زهيراً ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح سبب حكومته ، بأنه كان لا يعاظل في الكلام ، كان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه[3] ، وكان يرى أنه أشعر الناس[4] ؛ وكان يجلس هو وأصحابه فيتذاكرون الشعر والشعراء وأيهم أشعر[5] ؛ وقال لوفد غطفان عن النابغة : إنه أشعر شعرائهم[6] .. وكذلك علي بن أبي طالب كان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة[7] وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الإسلام ابنه كعب .

وأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

---

(١) ٧٨ : ١ العمدة .

(٢) راجع : ٧٩ اعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١٧٠ : ١ و ٢٢٤ و ٢٢٥ : ٢ البيان والتبيين ٣٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٦ : ١ العمدة .

(٣) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ : ١ العمدة ، ٣٢ جمهرة أشعار العرب ، والمعاظلة وتفسيرها في الموازنة وسر الفصاحة وفي ص ١٠٥ نقد الشعر .

(٤) ٢٧٩ : ٢ العقد وما بعدها .

(٥) ٣٢ الجمهرة .

(٦) ٣٤ الجمهرة .

(٧) ٢٧ و ٢٨ : ١ العمدة .

وذكر امروءُ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم وصاحب لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبـــة   وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بني ذبيان ، قال لهم : فمن الذي يقول :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابـــي   على وجل تظن بي الظنـــون
فألفيت الأمانة لم تخنهـــا   كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : هو النابغة ، قال : هو أشعر شعرائكم ، ولا بدع فعمر كان يعرف قدر الشعر ويستمع لآراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس : من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم وأن شاعراً كتب إليه يقول :

إذا التاجر الهندي جـــاء بفارة   من المسك راحت في مفارقهم تجري
فدونك مال الله حيث وجدتـــه   سيرضون إن شاطرتهم منك بالشطر

قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وقال ابن عباس ، قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير فأنشدته قوله في هرم ابن سنان حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حيث تنسبهم   طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم   قوم بأولهم أو مجدهم قعـــدوا

فقال له عمر : مـــا كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت؟ قال : أنا ابن هرم ابن سنان قال : صاحب زهير ؟ قال : نعم ، قال : أما إنه كان يقول فيكم فيحسن ، قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل ، قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ، فأخرج لسانه وقال : هذا إذا طمع .

وقيل : بنو هذيل من أشعر قبـــائل العرب ، وأشعرهم أبو ذؤيب ، وأمير شعره وغرة كلامه قصيدته التي أولها : « أمن المنون وريبها تتوجع[1] » .

وكان لعبد الملك مجالس يتناول فيها مع جلسائه نقد الشعر والشعراء وهي كثيرة [2] ، وحكم سليمان بن عبد الملك على جرير والفرزدق والأخطل[3] .

ولكثير من خلفاء بني أمية وخاصة عبد الملك أحكام نقدية على الشعر والشعراء ومنازلهم الأدبية ، وهي كثيرة .

---

(١) ٨١ خاص الخاص للثعالبي .
(٢) راجع مثلا ٣٠ : ٣ الامالي ، ١٥٢ : ١ و ١٥٥ : ٢ ديوان المعاني
(٣) ١٨٩ الشعر والشعراء .

النقد الأدبي في القرن الثاني

بلغ النقد الأدبي في القرن الثاني الهجري مرحلة من مراحل تطوره تناسب ما بلغه العرب في هذا العهد من نضج ثقافي وأدبي كبير .

كان الرواة كالأصمعي وخلف وحماد وأبي عبيدة يهتمون برواية الشعر وجمعه ، وكان لخلف مكانة في النقد ، «وكان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف في حلبة هذه الصناعة — النقد — ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها ، وإجادته لها »[1] . وكان يجمع كثيراً من الآداب[2] ، وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار شاعراً كثير الشعر جيده[3] ، وأصلح الأصمعي رواية بيت من شعر جرير ، وقال : أروه كذلك فلقد كانت الرواة قديماً تصلح شعر الأوائل[4] ، وأعجب بنقد بشار للشعر[5] . وعرض عليه مروان لاميته ففضلها على لامية الأعشى[6] . وكان أبو عبيدة يرى أن أشعر الناس امرؤ القيس والنابغة وزهير[7] وأشعر الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل لأنهم أعطوا حظاً في الشعر لم يعطه أحد في الاسلام[8] ، وكان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ولطبعه ، وكان يشبهه بالأعشى والنابغة ، ويشبه مروان بزهير والحطيئة[9]

---

(١) ١٩٧ / ١ العمدة .
(٢) راجع ٢٢٤ : ٣ البيان .
(٣) ٣٠٨ الشعر والشعراء .
(٤) ١٣ / ٢ زهر .
(٥) ٤٣ / ٣ الاغاني .
(٦) ٤٠٢ / ٣ العقد .
(٧) ٤٤ الجمهرة .
(٨) ٤٦ المرجع .
(٩) ٣٥ / ٣ الاغاني

وكان يفضل بشاراً على مروان[1] ، وكان يقول هو وأبو عبيدة : عدي في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها[2] ، وعاب بين يدي الرشيد قول النابغة :

نظرت إليك، بحاجة لم تقضهـا   نظر السقيم إلى وجوه العـود

لذكره السقيم[3] . وسئل المفضل عن الراعي وذي الرمة : أيهما أشعر فصاح صيحة منكرة ، أي لا يقاس ذو الرمة بالراعي[4] .

وكذلك كان الأدباء ينقدون الشعر بفطرتهم وذوقهم . كان بشار أجودهم وأدقهم في نقد الشعر ومذهبه ، وكان أبو عبيدة يعجب من « فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر »[5] ، وكان خلف يعجب من نقده ومذهبه[6] ، وغضب بشار على سلم لشرقته معانيه[7] ، وكان مروان يعرض شعره عليه[8] وكان أبو العتاهية يعتمد على معاني بشار[9] ، وكان أشجع يأخذ عنه ويعظمه[10] وكان ابن الرومي يقدمه ويزعم أنه أشعر من تقدم وتأخر[11] ، وكان

---

(١) ٢٢٥ ، ٣٥١ الموشح ٠

(٢) ١٧ / ٢ الاغاني ٠

(٣) ٢٧٠ العمدة ٠

(٤) ١٧٩ الموازنة ٠ وكان ذو الرمة راوية للراعي ٢٠٧ طبقات ابن سلام ٠

(٥) ٢٣ / ٢ الاغاني ٠

(٦) راجع ٤٣ / ١ الاغاني ، ٢١٠ الدلائل ، ٧٥ الفتاح ، ١٧ الايضاح ٠

(٧) ٤٨ / ٣ الاغاني ٠

(٨) ٥٨ / ٢ الاغاني ٠

(٩) ١٣٤ : ٣ الاغاني ٠

(١٠) ١٢٧ / ٣ الاغاني ٠

(١١) ١٣ : زهر الآداب ٠ وكـان بشار يقدم جريرا على الفرزدق (١٢٩ طبقات ابن سلام) من حيث كان البحتري يفضل الفرزدق (٢٤ صناعتين) ونقد بشار قول كثير « الا انما ليلى عصا خيزرانة» (٨٠ : ٢ الكامل)٠

كثير من الشعراء يجارون بشاراً في هذا الميدان .. وكان أبو نواس بدعوته إلى ترك بدء القصيدة بذكر الأطلال ناقداً خبيراً بتأثير الحضارة في الشعر والأدب .

ولكن جهود علماء اللغة في النقد كانت أقوى وأظهر فوضعوا الجاهليين في طبقات ولم يتركوا شاعراً مشهوراً من الجاهليين إلا رأوا فيه رأياً ، ولا فناً من فنون الشعر إلا نقدوه ونوهوا بما فيه من جيد ورديء . وهم الذين جمعوا أقوال النقاد قبلهم في الشعر والشعراء ، ووازنوا بين الإسلاميين والمتقدمين ، ونقدوا رواية الشعر وبنيته ومعانيه وغير ذلك من الموضوعات .

وقد كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق وفيهم طبع ، كانوا بهما في غنى عن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليل لأحكام النقد ولأصول البيان العربي ومذاهبه ، وكذلك كانت أصول النقد بعيدة عن الدراسة والتقرير .

وفي ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر وتمازجت الثقافات فلقحت العقول ، وأصابت الألسنة آثار من اللكنة واللحن ، وأخذ أئمة العربية يعملون في صبر وعزيمة في وضع أصول النحو العربي ، وجمع مواد اللغة الغزيرة ، وصحب ذلك وتلاه دراسات أخرى تتناول النقد ، كما تتناول البيان العربي وأصوله ومذاهبه بالبحث والتحليل ، وأخذت تتكون من تلك الدراسات النواة الأولى للنقد والبيان العربي ، وظل التقدم الفكري والنضوج الأدبي والعلمي يسير بهذه البحوث والدراسات نحو الكمال المنشود بخطوات كبيرة .

وكانت الثقافة النقدية البيانية تنمو في القرن الثاني بجهود طبقتين :

١ ــ الأولى طبقة رواة وعلماء الأدب من البصريين والكوفيين والبغداديين من أمثال : خلف والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة ويحيي

ابن نجيم وابن كركرة ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب[1] والعربية ، ومن عامة الرواة الذين لا يقفون إلا على البليغ الساحر من الأساليب كما يقول الجاحظ دون النحويين واللغويين والأخباريين ، الذين لم يتجهوا هذا الاتجاه[2] وبجوار هؤلاء الأئمة الشعراء[3] وغيرهم من الخطباء ورجال الأدب الذين تثقفوا بالثقافة العربية .

٢ – والثانية طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة منهم ، والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا سوقياً[4] ، ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعم[5] ، وحكم مذهبهم في النقد[6] ، ومثلهم المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رآهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من البلغاء[7] وكان بعضهم من عناصر عربية وتثقفوا بثقافة أجنبية ، والآخرون من عناصر أجنبية تثقفت بالثقافة العربية ، مما كان له أثره في فهم أصول البيان وفي توجيه دراسته وبحوثه وفي الدعوة إلى آراء في الأدب توائم ثقافتهم وعقليتهم ، وكان بعضهم يلقن مذاهبه الأدبية العامة للتلاميذ وشداة الأدب ، كما نرى في محاضرة بشر بن المعتمر المعتزلي م٢١٠هـ في أصول البلاغة[8] ،

---

(١) ٢٠٩ : ١ البيان ·

(٢) ٢٢٤ : ٣ البيان ·

(٣) راجع ٥٤ : ١ البيان ·

(٤) ١٠٥ : ١ البيان ·

(٥) ٢٢٥ : ١ البيان ·

(٦) ٢٤٠ : ١ البيان ·

(٧) ١٠٦ : ١ البيان ·

(٨) ١٠٤ : ١ وما بعدها البيان ، ١٢٨ وما بعدها صناعتين ·

والتي يقول الجاحظ عنها إن بشراً مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة [١] وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر فظن إبراهيم أنه وقف ليستفيد فقال بشر : اضربوا عما قال صفحاً ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه في أصول البلاغة وعناصر البيان[٢] . ومن رجال هذه الطبقة : أبو العلاء سالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ[٣] وابن المقفع وسهل ابن هرون[٤] والحسن والفضل[٥] ابنا سهل ، ويحيى البرمكي وأخوه[٦] جعفر . وأحمد بن يوسف وعمرو ابن مسعدة وابن الزيات .

---

(١) بعده الجاحظ من الخطباء الشعراء ٥٥ : ١ البيان .

(٢) ولبشر كتاب في نظم كليلة ودمنة (٥٨ ابن المقفع لمردم) .

(٣) ١٥١ : ١ البيان .

(٤) كان سهل يقول : سياسة البلاغة اشد من البلاغة (١٤٤ : ١ البيان . ٣٢ : ٣ العقد) .

(٥) ذكر الحصري كثيرا من بلاغته (١٦ ــ ١٩ : ٢ زهر) .

(٦) نوه الجاحظ ببلاغته (٨٥ و ٩١ : ١ البيان ، ٨١ : ٢ زهر الآداب) وكان يؤثر الايجاز (٨١ : ١ البيان ، ١٧٧ : ١ الكامل للمبرد) ، ونوه به سهل بن هارون (١١ : ٢ زهر) .

النقد الادبي في القرن الثالث

(١)

أخذ النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري يستقل بالبحث والتأليف على أيدي النقاد وعلماء الأدب وسواهم : كابن سلام (م ٢٣١ﻫ) ، والجاحظ م٢٥٥ﻫ ، وابن قتيبة م٢٧٦ﻫ ، وابن المدبر م٢٧٩ﻫ ، والمبرد م٢٨٥ﻫ وثعلب م٢٩١ﻫ ، وابن المعتز م٢٩٦ﻫ وسواهم من الأدباء ، وعلماء اللغة وأصحاب الثقافات الحديثة ، وغيرهم من الذين خاضوا في أصول الموازنات والبلاغة وموازين النقد .

(أ) فمن الأدباء النقاد : أبو تمام م٢٣١ﻫ ، ووصيته للبحتري حول الشعر وفنه ومذهب الشاعر فيه مثال واضح من أمثلة النقد الدقيقة ، وأصل من أصوله الأولى[١] . وله آراء أخرى في النقد مفرقة في شتى المصادر[٢] ومنهم ابن المعتز[٣] وسواه .

وتميل هذه الطبقة إلى العناية بأدب وشعر المحدثين ونقدهما وخاصة شعر أبي تمام والبحتري . ولعلي بن أحمد المنجم رسالة في العباس بن الأحنف والعتابي والموازنة بينهما[٤]

(ب) ومن علماء الأدب ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة .

---

(١) راجع الوصية في : ١٥١ : ١ زهر ، ٢٠٩/٢ العمدة، ١٦٠ حديقة الافراح لليمني ط ١٣٢٠ ﻫ ، المطالعة التوجيهية .

(٢) راجع مثلا ص ١٩٢ طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز .

(٣) ويذكر مندور ان ابن المعتز تاثر أرسطو في كتابه البديع ٤٤ ــ ٤٧ النقد المنهجي لمندور .

(٤) ٩٢ ــ ٩٤ : ٤ زهر ، وهي في الموشح ٢٩٢ و ٢٩٣ منسوبة لابي احمد يحيى بن علي المنجم .

١ ــ أما ابن سلام فبصري راوية عالم بالشعر مؤلف في نقده ، عاش في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري والثلث الأول من القرن الثالث ، ودرس وتثقف وأحاط باللغة والآداب والأشعار ، واهتم بالنقد مع تأثر بروح عصره في الاستيعاب والشرح والتحليل ، وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين [١] وقد أدمجا في بعض وطبعا من عهد قريب باسم ، طبقات الشعراء ، والمقدمة المطبوعة في أوله هي مقدمة كتاب طبقات الإسلاميين ، يرشد إلى ذلك الكثير من مقدمته كقوله : « ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام » [٢] .

وكتابه أول مؤلف في النقد [٣] كما يقولون ، والصحيح أنه ألف قبله كتب أخرى في موضوع كتابه نفسه ، وبحوث كتابه تشمل ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية ، وتتناول شرح الشعر العربي وأثره ونشأته وتطوره وتنقله في القبائل وانتحاله ، ثم يذكر طبقات الجاهليين العشر وشعراء المراثي وشعراء القرى العربية ، كما يذكر طبقات الإسلاميين العشر ، جاعلاً في كل طبقة أربعة من الشعراء ، مع الدراسة العميقة والتحليل الدقيق والنقد الممتع لرجال هذه الطبقات وحياتهم ومذاهبهم الفنية في الشعر ، والكتاب من مصادر ثقافتنا الأدبية في النقد ، ولا يكاد يستغنى عنه باحث أو دارس ، وهو ضروري في دراسة النقد وجامع لكثير من الآراء فيه ، وقد رواه عن ابن سلام ابن أخته أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ٣٠٥هـ ، والذي يشيد الحصري بأدبه وبلاغته [٤] .

---

(١) ١٦٥ فهرست .

(٢) ص ١٦ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٣) ١٠٨ : ٢ زيدان ، ٧٤ تاريخ النقد الادبي عند العرب .

(٤) ٢٥٢ جـ ٣ زهر .

٢ ـ وأما الجاحظ فعلم من أعلام الأدب والنقد والبيان، وفي كتابه « البيان » وسواه من مؤلفاته ثروة كبيرة في النقد الأدبي ، فتجده يحلل في دقة وتفصيل مذهب الطبع والصنعة في الشعر[١] ويشير إلى سرقات أدبية[٢] وموازنات أدبية[٣] ، ويستجيد بعض آثار للشعراء فيقول مثلاً : وكان أبو حية أشعر الناس لقوله الخ[٤] ، ويقول : ومن جيد محدث أشعارهم الخ[٥] ، ويقول : ومن جيد الشعر قول جرير الخ[٦] ويثني على أبي نواس وشعره وخمرياته[٧] ، ويرى أنه ليس هناك مولد إلا وبشار أشعر منه ولا مولد أشعر بعد بشار من أبي نواس[٨] وأبو نواس عنده أشعر الناس في قوله : « كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمراً » [٩] ورأى أن بيتي عنترة « وخلا الذباب بها الخ » من المعاني العقم [١٠] ، ومثله قول أبي نواس « قرارتها كسرى الخ » [١١] وينقد أبا العتاهية ذاهباً إلى [١٢] أن شعره أملس المتون ليس له عيون الخ ،

---

(١) ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ جـ ١ ، ٢١ ـ ٢٦ جـ ٢ البيان والتبيين ·

(٢) ٨٩ و ١١٦ و ١٧٩ و ٢٥٥ جـ ١ البيان ·

(٣) ٢٤٣ جـ ١ البيان ·

(٤) ١٦٦ جـ ٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦ جـ ٢ البيان ·

(٥) ١٧٥ جـ ٣ البيان ·

(٦) ١٣٢ جـ ٣ البيان ، وتجد شرحا لبيتي جرير اللذين ذكرهما الجاحظ في هذا الموضع في ص ٢٠٨ طبقات الشعراء لابن سلام ·

(٧) ٤٢ جزء ٤ العقد الفريد ·

(٨) ٩١ جـ ١ العمدة ·

(٩) ١٨٥ جـ ٤ زهر ·

(١٠) ١٨٤ ج ٣ البيان ·

(١١) ١٦٦ ج ٣ زهر وراجع شرح البيت في العمدة ٢٧٥ ج ١ وكذلك ذهب المبرد في الروضة في بيت أبي نواس ، ونفذهما ابن الاثير في ذهابهما الى ان بيت ابي نواس من المعاني المبتكرة ورأى أنه من المعاني المعتادة وان فصاحة هذا الشعر هي الموصوفة لا هذا المعنى (١٢٢ المثل السائر) ·

(١٢) ٥٢ جـ ٣ زهر ·

ويعجب بقوله « روائح الجنة في الشباب » إعجاباً كبيراً [1] ويذكر حوار إبراهيم بن عبد الله لأبيه في شعر كثير [2] ، وأن الناس كانوا يستحسنون بيت الأعشى « وبات على النار الندي والمحلق » حتى قال الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء نـــاره   تجد خير نار عندها خير موقـــد

فسقط بيت الأعشى[3] ، وينقد الكميت لقوله في رسول الله :

لج بتفضيلك اللســـان ولـــو   أكثر فيـــك اللجـــاج والصخب

كما ينقده لقوله في رثائه :

لقد غيبوا حزماً وعزماً ونائلا   عشية وأراه الصفيح المنصب

لأنه يصلح في عامة الناس[4] ، وقد دافعوا عنه بأنه إنما أراد في البيت الأول آل الرسول لا الرسول فروى عنهم بذكر النبي خوفاً من بني أمية [5] ويذكر مناهج الرواة [6] وتعصب أبي عمرو ابن العلاء على الإسلاميين [7] وأن الرواة كانوا [8] يحرصون على نسيب العباس بن الأحنف حتى أورد عليهم خلف نسيب الأعراب فعنوا به وزهدوا في نسيب العباس ، والجاحظ ينكر علو المتعصبين على الشعراء المحدثين ، ويرى أنه لو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان ، وفي أي

---

(١) ٣٨ ج ٣ الاغاني ، ٣٦٦ ج ٢ عصر المأمون .

(٢) ١٤٦ ج ٣ البيان .

(٣) ٣٦ جزء ٢ البيان .

(٤) ١٧٢ و ١٧٣ ج ٢ البيان ، ١٧٠ ج ٥ الحيوان ط ١٩٤٢ ، ١٤٥ ج٢ العمدة .

(٥) ٢٠ الموازنة و ١٢٦ ج ٢ العمدة .

(٦) ٢٤٤ ج ٣ البيان و ٤ و ٥ الكشف عن مساوىء المتنبي .

(٧) ٢٠٩ ج ١ البيان .

(٨) ٢٢٤ ج ٣ البيان .

زمان كان [1] .. إلى غير ذلك من شتى آرائه في النقد .

٣ – وأما ابن قتيبة فهو عالم ملمّ بالثقافات في عصره ، مجدد في التفكير ولكنه مع ذلك محافظ كل المحافظة في الأدب ، ينعي على الأدباء انصرافهم إلى المنطق وشغفهم به عما سواه من علوم الدين واللغة [2] ، ويرى وجوب اتباع منهج المتقدمين في نظم القصيدة [3] ولكنه مع ذلك لا يتعصب للقديم ولا للمحدث تعصباً أعمى ولكن يعطي كلاً حقه من العدالة والإنصاف وكتاب « الشعر والشعراء » وعلى الأخص مقدمته دراسة عميقة للشعر وأقسامه وعناصره وللطبع والصنعة فيه وللخصومة بين القدماء والمحدثين . ولدواعي الشعر ونظمه وأسباب اختلاف شعر الشاعر .

والكتاب مظهر لثقافة واسعة [4] ، واطلاع واسع وذوق سليم ، وفيه عرض لنحو مائة وستين شاعراً من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وصدور المحدثين ، وقد عني في دراسته لهم ببيان مذاهبهم وخصائصهم واتجاهاتهم وذكر آراء النقاد في شعرهم وسرقاتهم وما يستجاد لهم من حكمة أو تشبيه أو وصف وما سبقوا إليه من معان ، وسرد الشعراء سرداً دون ترتيب لطبقاتهم أولهم بحسب عصورهم بعكس ابن سلام ، وقد اهتم بدراسة لغة الشعراء وأثر البيئة فيها [5] وتكلم عن بعض النساء الشاعرات كالخنساء [6] وليلى

---

(١) ٤٠ جـ ٣ الحيوان وذلك مما يردده ابن المعتز الذي حتم عدالة الحكومة الادبية وحتم الا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا (١٣ و ١٤ رسائل ابن المعتز) . وكذلك رأى ابن قتيبة (٧ و ٨ الشعر والشعراء)، وابن رشيق (٧٤ جـ ٢ العمدة) .

(٢) ص ٢ أدب الكاتب .

(٣) ١٤ وما بعدها الشعر والشعراء .

(٤) راجع مثلا شرحه للمشكل من شعر ابي نواس (٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٣٢٥ الشعر والشعراء) وسوى ذلك .

(٥) راجع رأيه في عدي وأمية بن أبي الصلت وأبي دؤاد (٦٣ و ٦٩ و ١٧٦ الشعر والشعراء) ، ١٧ جـ ٢ الاغاني مثلا .

(٦) ١٢٢ للشعر والشعراء .

الأخيلية [1] ، وهو حريص على ذكر زلات الشعراء من ناحية العقيدة [2] ، ويعنى بتحقيق نسبة الشعر لقائله عناية كبيرة .

(ج) وأما طبقة علماء اللغة فأثرهم في النقد واضح جليل يتجلى في آرائهم وكتبهم .

وكان هؤلاء كلهم أو جلهم يؤثرون الشعر القديم ، ومنهم : أبو العميثل المتوفى ٢٤٠ هـ وابن السكيت م ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم السجستاني م ٢٥٥ هـ ، وأبو الفضل الرياشي م ٢٥٧ هـ ، والسكري م ٢٧٥ هـ ، والمبرد م ٢٨٥ هـ وثعلب م ٢٩١ هـ [3] . وأظهرهم أثراً في ذلك المبرد الذي حفظ « الكامل » كثيراً من آرائه في النقد .

وأهم ما في الكامل للمبرد دراسته للتشبيه وعرضه لكثير من شواهده [4] وهذا الباب كله نقد أدبي جيد ، ويذكر المبرد كثيراً من السرقات الأدبية في كتابه ، ويذكر الكثير من آراء القدامى في النقد والموازنة ، ويشيد بابن مناذر ومرثيته « كل حي لاقي الحمام فمودي [5] والمبرد لا يتعصب لقديم على محدث » ، ويرى أنه « ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطي كلاماً يستحق » [6] ، ولذلك ضمن كتابه كثيراً من شعر المحدثين ، وعقد

---

(١) ١٧٠ المرجع .

(٢) راجع مثلا : ٣٢١ و ٣٢٢ المرجع .

(٣) ينقد ابن الرومي الاخفش لعدم خبرته بالنقد ، وذلك في أبياته :

قلت لمن قال لي : عرضت على ... الاخفش ما قلته فما حمده
قصرت بالشعر حين تعرضه ... على مين العمى اذا انتقده
ما قال شعرا ولا رواه فلا ... نعلمه كان لا ، ولا اسده
فان يقل انني رويت فكالدة ... تر جهلا بكل ما اعتقده

(٤) الكامل ص ٣٥ ـ ١٠١ جـ ٢ .

(٥) الكامل ص ٢٨٨ جـ ٢ .

(٦) الكامل ص ١٨ جـ ١ .

باين لأشعارهم خاصة [1] ، ورأى أنها أشكل بالعصر [2] ، ويروي شعراً لأبي تمام ويقول : « وليس بناقصه حظه مـن الصواب إنـه محدث » [3] وذكر مكانة الخنساء وليلى الأخيلية في الشعر [4] ونقـد قول الشماخ :

إذا بلغتني وحملت رحـلي عرابة فاشرقي بـدم الوتين[5]

وإجماع النقاد على نقد قول نصيب :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي[6]

ويذكر مجد آل حسان وابن أبي حفصة في الشعر [7] ، كما يذكر بعض المعاني الجديدة في شعر أبي نواس [8] ، ويعيب [9] قوله :

كيف لا يدنيك من أمـل من رسول الله من نفـره

ويذكر وجهاً لتخريجه .

وعلى أي حال فثقافة اللغويين في النقد كانت قليلة بالنسبة لأدباء الكتاب وعلماء النقد [10] ، وسئل البحتري عن مسلم وأبي نواس أيهما

---

(١) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، وص ٢٢٣ ـ ٢٦١ ج ١ .

(٢) الكامل ٢٢٣ ج ١ .

(٣) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، وللمبرد مناقشة أدبية بينه وبين ابن درستويه حول معنى لابي تمام (زهر الآداب ص ٢٣٩ و ٢٤٠ ج ٢) .

(٤) الكامل ص ٢٧٩ ج ٢ .

(٥) الكامل ص ٧٧ ج ١ .

(٦) المرجع نفسه ص ١٠٦ ج ١ ، ويذكر الجاحظ ان صالح بن نيمان قال : أحمق الشعراء الذي قال : « أهيم بدعد ـ البيت » (البيان ص ٢١٧ج٣)

(٧) الكامل ص ١٥٤ ج ١ .

(٨) الكامل ص ٩٤ ج ٢ .

(٩) الكامل ص ٤٣ و ٤٤ ج ١ .

(١٠) راجع كلمة الجاحظ في ذلك في ص ٢ و ٥ الكشف عن مساوىء شعر المتنبي .

أشعر فقال : مسلم لأنه يتصرف في كل فن ، فقيل له إن ثعلبـاً لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه [1] . وقال البحتري لصديق له أراد التوجه لأبي العباس [2] ليقرأ عليه شيئاً من الشعر : رأيت أبا عباسكـم هذا فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً له ورأيته يستجيد شيئاً وما هـو بأفضل الشعر [3] .

(د) وفي هذا القرن نشأت طبقة المفكرين والمثقفين الذين تثقفوا بثقافات أجنبية واسعة ، وتأثروا كل التأثر بآداب الأمم الأخرى ، وترجموا آراءهم في البيان ومناهجه إلى اللغة العربية ، أو ألفوا كتباً تبحث في هذه الإتجاهات ، وهؤلاء قد عاشوا في البيئة الإسلاميـة ، وأثروا في النقد والأدب والبيان ودراسته وتطوره تأثيراً واضحاً كبيراً ويمكننا أن نذكر شيئاً عن مجهود هذه الطبقة في خدمة البيان .

أهم عمل علمي قامت به هذه الطبقة هو ترجمة كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية ، فأما الخطابة فهو أصل كبير من أصول البلاغة ودراساتها وقد « أصيب بنقل قديم ونقله إسحاق بن حنـين م ٢٩٨هـ ، وكذلك نقله إبراهيم بن عبدالله وفسره الفارابي م ٣٢٩ هـ » [4] وأما كتاب الشعر فقد اختصره الكندي م ٢٥٣ هـ ، وترجمه إسحاق أيضاً [5] ، ونقله يحيى بن عدي ومتى بن يونس في القرن الرابع مـن

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٩٥ ، والكشف ص ٥ ، واعجاز القرآن ١٠١ ، والعمدة ٩ جـ ٢ .

(٢) لعله يريد ثعلبا ، وابو العباس بن المبرد وثعلب .

(٣) الدلائل ص ١٩٥ .

(٤) ٢٤٩ فهرست والدكتور ابراهيم سلامة حوله كتابان : خطابـة أرسطو ، وبلاغة أرسطو بين العرب واليونان .

(٥) راجع ٢٥٠ الفهرست لابن النديم .

السريانية إلى العربية [1] . وقد ألفوا في صناعة الشعر ، وللكندي رسالة في صناعة الشعر [2] ، ولأبي زيد البلخي كتاب بعنوان « صناعة الشعر » أيضاً [3] ، وكذلك لأبي هفان [4] . وهناك آراء مأثورة عن هذه الطبقة في النقد وفي البلاغة وفي شتى كتب الأدب ومصادره ويذكر ابن الأثير أن الشعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرا بثقافة اليونان في الأدب والنقد والبيان ، وينفي أن يكون هو قد تأثر في رسائله وكتابته بما ذكره علماء اليونان في حصر المعاني ، ويذكر أنه اطلع على ما كتبه إبن سينا في الخطابة والشعر فلم يوفق ذوقه ، ورأى أن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً [5] .

ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر في علم البلاغة العربية [6] ويرى آخر أن أرسطو المعلم الأول للمسلمين في علم البيان [7] وأن الكتاب والمتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا

---

(١) ٣٤٩ و ٣٥٠ فهرست ، ونجد تحليلا كاملا للكتاب في (٦٤ ـ ١٣٦ قواعد النقد الادبي) وهو لم يصل الينا كاملا وليس من شك في ان للكتاب جزءا ثانيا قد فقد (٦٨ المرجع) ونكاد نجزم بأن أرسطو أراد بكتابه هذا ان يكون ردا على أفلاطون في رأيه الذي ذهب اليه ، وهو ان الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري وانه من أشد بواعث الفساد (٧١ المرجع) ، ويقول أرسطو في أوله : ساتكلم هنا عن فن الشعر وانواعه المختلفة ووظائف كل نوع وفي البناء الصحيح للمنظومة وعدد أجزائها وخصائص كل منها » (٧٩ المرجع) وترجمة ابن سينا وابن رشد (٢٤ وما بعدها مقدمة نقد النثر) ـ وهما ترجمتان رديئتان (١٢ فن الادب ـ المحاكاة لسهير القلماوي) ومن ترجمة متى بن يونس العربية لكتاب الشعر نسخة خطية في مكتبة جامعة القاهرة ، ومن ترجمات كتاب الشعر الحديثة : ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وترجمة احسان عباس،وترجمة خلف الله وعاطف سلام وقد نشرت ترجمة متى لكتاب الشعر محققة ·

(٢) ٣٥٩ فهرست ·

(٣) ١٩٨ فهرست ·

(٤) ٢٠٧ فهرست ·

(٥) ٢٠ المثل السائر ·

(٦) ٢٧٧ جـ ١ ضحى الاسلام ·

(٧) ٣١ مقدمة نقد النثر ·

في البيان وتطوره جلهم أعاجم [١] وأن متكلمي المعتزلة بتضلعهم من الفلسفة اليونانية من مؤسسي البيان العربي ، وأنه حتى منتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان في دور الطفولة وكان خصباً جامعاً للروح العربي والفارسي واليوناني ، ثم وجد من ذلك الوقت بيانان : عربي بحت ويوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو [٢] حتى العربي البحت تأثر باليونان [٣] . ويقرر أن عبد القاهر حين وضع في القرن الخامس كتابه « أسرار البلاغة » لم يكن إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه [٤] .

ترجم كتاب الخطابة لأرسطو في النصف الثاني من القرن الثالث . وجاء فاستفاد من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبقه على الشعر العربي ولا سيما القسم الخاص بالأسلوب ، وكان يجهل كتاب الشعر فترجم المأساة بالمديح والمهزلة وبالهجاء [٥] . وقد درس قدامة الفلسفة وخاصة المنطق . على أن تشريع الفلسفة للأدب في رأي الدكتور طه حسين يظهر أول مرة في « نقد الشعر » ثم في « نقد النثر » الذي هو مستمد من آراء أرسطو في الجدل والقياس والخطابة [٦] ويحتمل أن المشتملين بالفلسفة اليونانية اشتركوا مع الجماعات الأخرى في خدمة البلاغة العربية واستعانوا بطرق اليونانيين ومناهجهم في دراسات البلاغة والتأليف فيها ، وأن للفرس وما ترجم من قواعد

---

(١) ٦ المرجع .

(٢) ٨ مقدمة نقد النثر

(٣) ص ١١ المرجع .

(٤) ص ١٤ المرجع .

(٥) و (٦) ص ٧ المرجع .

بلاغتهم أثراً ما في البلاغة العربية [١] ، كما يؤيده أبو هلال في الصناعتين وديوان المعاني .

وفي غالب الظن أن في البلاغة العربية عناصر ثلاثة : عنصراً عربياً وعنصراً فارسياً وعنصراً يونانياً ، ولا شك أن البلاغة العربية حينما بدأ واضعوها في تدوينها قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة في هذا التدوين إلى حد كبير .

ومن عجب أن يزعم زاعم أن أرسطو كان أبا النقد في الآداب الأوربية ، وفي الأدب العربي كذلك [٢] ، فذلك هو الخطأ الذي ليس بعده خطأ .

(٢)

وإذا كان أبو تمام قد شغل النقاد طول القرن الثالث والرابع الهجري حتى ألفوا في سرقاته ونقده ، وصنف فيه الصولي م ٣٣٦ هـ « أخبار أبي تمام » قاصداً بيان فضل الطائي [٣] ووازن الآمدي م ٣٧١ هـ بينه وبين البحتري مع ميل إلى البحتري وتقديم له ، وللحاتمي م ٣٨٨ هـ مناظرة بينه وبين أعرابي متعصباً للبحتري والحاتمي لأبي تمام [٤] .

فإن أول من كتب في نقده هو ابن المعتز ، فألف فيه رسالته في محاسن شعره ومساويه ، وقد روى المرزباني جزءاً منها إن لم يكن ما أثبته في كتابه هو كل الرسالة ؛ وقد نشرناها في كتابنا « رسائل ابن

---

(١) يقول أبو هلال : وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها الي اللسان العربي الخ .

(٢) راجع ١٧٤ المدخل في النقد الادبي لهلال .

(٣) ٦ أخبار أبي تمام .

(٤) ٢٠ ـ ٢٧ / ٣ زهر الآداب .

المعتز »[1] ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه أبا تمام[2] ، وللآمدي كتاب في الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام[3] .

(٣)

ومن أهم النقاد في القرن الثالث : الناشيء الأكبر (٢٩٣ هـ) ، وهو عبدالله بن محمد أبو العباس (ابن شرشير الأنباري البغدادي) ، كان من كبار النقاد في القرن الثالث وقد توفي في مصر وكان قد هاجر إليها وأقام فيها[4] آخر حياته .

وكان شاعراً كذلك في عداد الشعراء المجيدين ، كما يذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان وابن المعتز في طبقات الشعراء ، وغيرهما .

ويذكر ابن رشيق كتاباً له عنوانه « تفضيل الشعر »[5] ، ويذكر أبو حيان التوحيدي كتاباً له بعنوان « نقد الشعر[6] » .

---

(١) ٣٠٧ ـ ٣١٩ الموشح ، ١٩ ـ ٣١ رسائل ابن المعتز .

(٢) ١٨٨ فهرست ، ٢٠٤ / ٦ معجم الادباء نشر مرجليوث .

(٣) ٨٦ معجم الادباء نشر رفاعي .

(٤) ٤١٧ ـ ٤١٨ طبقات الشعراء لابن المعتز ـ ٢١٧ الفهرست لابن النديم ـ ٩٢ / ١٠ تاريخ بغداد ـ ٢ / ٢٧٧ وفيات الاعيان ـ ٨٥ مراتب النحويين ١٠١ / ١١ البداية والنهاية ـ ٥٧ / ٦ المنتظم ـ ٦١ / ٢ ابو الفداء ـ ٥٨ ـ ٥٩ / ٣ النجوم الزاهرة ، ١٢٨ / ٢ انباه الرواة ـ ١٤٠ / ١ ـ حسن المحاضرة ٢ / ١ العمدة لابن رشيق (محيي الدين عبد الحميد) ـ وكان الناشيء معتزليا متكلما .

اما الناشيء الاصغر فهو ابو الحسن علي بن عبد الله (٢٧١ ـ ٣٦٥هـ) ـ ١ / ٢٣٢ يتيمة الدهر ـ ٢٢٦ الفهرست لابن النديم ـ ٣ / ٥١ وفيات .

(٥) ٢٠١ / ١ العمدة ـ تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

(٦) البصائر والذخائر ٢ / ٢٧٣ و ٦١٩ ـ دمشق .

ويروى أن له قصيدة في فنون العلم والكلام في أربعة آلاف بيت [1] ويروي له ابن رشيق قصيدتين في نقد الشعر [2] .

ويقول التوحيدي عنه : ما أصبت أحداً تكلم في نقد الشعر وترصيفه أحسن مما أتى به الناشيء المتكلم ، وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره [3] .

ويتحدث إحسان عباس عن الناشيء في كتابه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » [4] . وكتب عنه الدكتور يوسف حسين بكار مقالة في مجلة الأديب اللبنانية [5] .

وعلى الجملة فإن تراث الناشيء النقدي لا يزال مجهولاً لم يكشف عنه بعد .

---

(١) ١٠١ / ١١ البداية والنهاية .

(٢) ٢ / ١١٣ ، العمدة ٢ / ١١٥ أيضا .

(٣) ٢ / ١١٧ البصائر والذخائر التوحيدي .

(٤) راجع ص ٦٦ من الكتاب .

(٥) عدد يونيو ١٩٧٤ .

النقد في القرن الرابع الهجري

اتجه علماء الأدب في مشرق هذا القرن إلى الكتابة في الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلى انتقلت بهم إلى البحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة فاتجه تأليفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البيان نفسه

ونقاد الأدب والشعر في القرن الرابع فريقان فريق كتب ونقد ووازن وحكم متأثراً بذوقه الأدبي وطبعه العربي وثقافته الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى التي جرت جداول إلى يم الثقافة الإسلامية الصميمة المتدفقة ، ومن هؤلاء الحاتمي ٣٨٣ ﻫ « صاحب الرسالة الحاتمية » في نقد شعر المتنبي وبيان سرقاته من حكمة أرسطو الفيلسوف والحسن بن بشر الآمدي ٣٧١ ﻫ صاحب الموازنة بين الطائيين ، وعلي ابن عبد العزيز الجرجاني ٣٩٢ ﻫ صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، وابن وكيع ٣٩٣ ﻫ صاحب « المنصف » في سرقات المتنبي وأبو بكر الباقلاني ٤٠٣ ﻫ مؤلف « إعجاز القرآن » وقبلهم أبو بكر الصولي ٣٣٦ ﻫ صاحب « أخبار أبي تمام » وأبو الفرج الأصبهاني ٣٥٦ ﻫ مؤلف كتاب « الأغاني » . وفريق آخر كتب بروح أدبي هذبت فكرته ووسعت أفقه الثقافات الأخرى التي هضمها القرن الرابع وأحالها غذاء عقلياً لكل من توسع في الدراسة والبحث العميق ، ومن هذا الفريق : جعفر بن قدامة وقدامة بن جعفر ٣٣٧ ﻫ صاحب (نقد الشعر) وابن العميد ٣٦٠ ﻫ والصاحب ابن عباد ٣٨٥ ﻫ صاحب رسالة « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » وأبو هلال العسكري ٣٩٥ ﻫ صاحب « الصناعتين » و « ديوان المعاني » وهذا الفريق الأخير

يختلف نقده قوة وضعفاً بحسب تمكن الطبع العربي من نفوس رجاله وأعلامه وتتفاوت منازلهم في الإجادة والإحسان بتفاوتهم في الذوق الأدبي الذي يعتد به في الحكومات الأدبية العادلة. ودعنا ممن نقدوا الأدب والشعر بدون تمكن الطبع الأدبي في نفوسهم، من: النحويين علماء اللغة، والمعنويين رجال العقل والفلسفة، الذين جاء حكمهم بعيداً عن الذوق المطبوع والفطرة السليمة. والذين نقدهم الجرجاني في (وساطته) نقداً لاذعاً، وطرح آراءهم في النقد والبيان فلم يعتد بها ولم يعرها نصيباً من البحث والمناقشة اللهم إلا حيث أراد أن يبرر موقفه منهم فذكر بعض أخطائهم في النقد لتكون حجة له في هذا الإهمال.

ولا شك أن ظهور قدامة في أول هذا القرن، ورجوعه إلى البيان اليوناني وما فيه من موازين للنقد ومناهج للبيان يلقح بها البيان العربي ويضع بها أسس النقد الأدبي، جاعلاً لألوان الترف في الأداء التي تمس الفكرة وتسبغ على المعنى حظاً كبيراً في النقد، كان تطوراً جديداً في بحوث النقد والبيان وكان عقل قدامة المنطقي يغلب ذوقه الأدبي، فزل أحياناً في نقده من حيث قوم ذوق ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي هلال العسكري أحكام عقولهم في النقد والحكومة الأدبية، وإن تبعوا منهج قدامة، وجروا في فهم الشعر وتذوقه ونقده مجراه الذي أوضحه في كتابه «نقد الشعر» والذي يرجع إلى البحث في عناصر الشعر الأساسية من: اللفظ والوزن والقافية والمعنى.

وجاء الآمدي فوضع نظرية عمود الشعر في النقد ونقد قدامة في كثير من آرائه، بل ألف كتاباً بين فيه أخطاءه في نقد الشعر، وأهداه إلى ابن العميد [1] وبالرغم من ذلك كله فقد تأثر كرهاً ببعض آراء قدامة، تأثر به في فهم عناصر ميزان النقد الأدبي التي حللها حين نقد أبا تمام والبحتري فيما يتصل باللفظ وسلامته والمعنى وصحته والغرض

---

(١) ٣ / ٥٨ معجم الادباء لياقوت ـ نشر فريد رفاعي.

واستقامته والأسلوب ومواءمته لأسلوب العرب في الأداء والوزن ، وملاءمته لموسيقى الشعر وأوزانه . وتأثر به في تنسيق بحوثه وموضوعاته عارضاً للموضوعات التي أثارها ابن المعتز وقدامة . كبحوثه في الجناس والطباق والإستعارة والتقسيم . مدلياً برأيه مع رجوعه إلى العربية وحدها في المناقشة والنقد والحكم .

وجاء بعد الآمدي الصاحب بن عباد فسار على ضوء أستاذه ابن العميد في فهم النقد وعناصره وأصوله . ثم جاء القاضي الجرجاني فوضع منهجاً متميزاً في النقد .

ومن ثم نجد أن النقد الأدبي في القرن الرابع :

١ — قد استحال إلى علم له أصوله وقواعده ومبادئه .

٢ — كثرت المؤلفات فيه إلى حد كبير .

٣ — كانت الموازنات الأدبية أظهر فروع النقد في هذا القرن ، وأشهرها الموازنة للآمدي .

٤ — كثر النقاد في هذا القرن وتعددت آراؤهم في النقد .

٥ — كانت مشكلات النقد تثار غالباً عند الحديث عن منزلة شاعر أو الموازنة بين شاعر وآخر .

٦ — تطور النقد فبحث في إعجاز القرآن وأسراره . ثم أخذ يتحدث عن أصول البيان العربي . حتى استحال بعد ذلك إلى علم البلاغة الذي وضع أصوله عبد القاهر الجرجاني في كتابيه : الأسرار والدلائل ..

قدامة بن جعفر

(١)

ولد قدامة في البصرة نحو عام ٢٦٠ هـ أو عام ٢٧٦ هـ في خلافة المعتمد العباسي .

وقرأ وتعلم وتثقف على والده وعلى المبرد وغيره — واجتهد وبرع في البلاغة والحساب ، وقرأ صدراً صالحاً من المتعلق وهو لائح على ديباجة تصانيفه واشتهر بالبلاغة ونقد الشعر والكتابة .

عاش في خلافة المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر العباسي ، وأدرك مطالع حكم آل بويه ، وتولى مجلس الزمام لآل الفرات .

وألف كتباً كثيرة منها : نقد الشعر ، وكتاب السياسة ، وكتاب الخراج (ثمانية منازل وأضاف إليه منزلاً تاسعاً) ، وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام ، وكتاب صناعة الجدل ، وكتاب زاد المسافر ، وكتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وغيرها .

وتوفي في بغداد في خلافة المطيع العباسي عام ٣٢٧ هـ .

ظهر قدامة بن جعفر في هذا القرن (٢٦٠ هـ أو ٢٧٦ – ٣٣٧ هـ) فكان له آثار كبيرة في النقد .

وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء [١] والنقاد الأعلام، وكتابه نقد الشعر ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته .

فصل قدامة في « نقد الشعر » مذهبه في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتاب الخطابة الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري . ونجد أثر أرسطو واضحاً عند قدامة في كلامه على الصفات النفسية التي جعلها أمهات الفضائل وذكر أن المدح الجيد لا يكون إلا بها [٢] .

ويرى قدامة أن الرثاء كالمديح في وقوعه بهذه الصفات [٣]، وأن الهجاء ضد المدح ولا يكون إلا بأضدادها [٤] ، وهذا وغيره أثر لثقافة قدامة العقلية التي تزل في مواضع الذوق والإحساس والشعور في النقد وفهم الشعر والأدب ، وعناصر الشعر عند قدامة اللفظ والمعنى والوزن والقافية وما تركب منها [٥] .

ثم يذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر من هذه العناصر

---

(١) ٢٠٣ – ٢٠٥ : ٦ معجم الادباء لياقوت . ١٨٨ الفهرست · وراجع تاريخ بغداد ٣٤ : ٢ كشف الظنون ·

(٢) ٢٩ – ٤١ نقد الشعر بتحقيق « منون » ·

(٣) ٥٩ قد الشعر . ١٢٦ الصناعتين ·

(٤) ٥٥ نقد الشعر · ويقول عبد الصمد بن المعذل ٢٣٠ هـ : الشعر كله في ثلاث لفظات ، فاذا مدحت قلت انت : واذا هجوت قلت لست : واذا رثيت قلت : كنت ١٠٣ : ١ العمدة) . وهذا اساس نظرية قدامة · وسار عليها ابو هلال وابن رشيق ·

(٥) راجع نقد الشعر ص ١٣ · ومثل ذلك في العمدة ص ٩٩ جـ ١ ·

في نظم الشعر ويرى أن أضداد هذه الأمور هي أسباب الرداءة في النظم . ويحتّم على الشاعر أن ينظم الشعر متبعاً لأسباب الجودة وحذراً من الرداءة وأسبابها ، والناقد يحكم على ضوء هذا النهج نفسه فيري مواطن الجمال والعيب في شعر الشاعر سواء في ألفاظه وأساليبه أو في أوزانه أو قوافيه أو في سوى ذلك مما تركب منها ، فيحكم عليه أو له بالرداءة أو الجودة والإحسان ؛ وهذا نهج عقلي واضح ولكنه في تقييده الشعر بهذه القيود الثقيلة وفي تطبيقه على هذه الأصول التي رسمها في كتابه يخطىء كثيراً .. وقد ألف الآمدي كتاباً في « تبيين غلط قدامة في نقد الشعر » وأهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه عامَ ٣٦٥ هـ [١] ، كما نقده كثير من علماء النقد الأدب في شتى العصور . فلابن رشيق كتاب « تزييف نقد قدامة [٢] » ولابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ – ٦٥٤ هـ) كتاب « الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه » [٣] ، ولعبد اللطيف البغدادي (– ٦٢٩ هـ) شرح قواعد الشعر لقدامة [٤] ، وسماه « التكملة في شرح نقد قدامة » وله كتاب «كشف الظلامة عن قدامة [٥] » .

(٣)

ويقول أبو حيان [٦] – في أثناء كلامه على بلاغة النثر – ما نصه : « وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة ابن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير :

---

(١) معجم الادباء في ترجمة الآمدي ص ٥٨ جـ ٣ ، وراجع ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح ·
(٢) ص ٨٨ تحرير التحبير لابن ابي الاصبع المصري (٥٨٥ – ٦٥٤هـ)·
(٣) ص ٤٩ كتاب تحرير التحبير ·
(٤) ١٠ / ٢ فوات الوفيات ط ١٢٨٣ هـ ·
(٥) كشف الظنون ٢ / عمود ١٩٧٢ ·
(٦) ١٤٥ و ١٤٦ جـ ٢ الامتاع والمؤانسة – طبع لجنة التأليف ·

عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة ، وخبرته فوجدته قد بالغ وأحسن ، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة، بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المحتبي والمعيب المجتنب ، ولقد شاركه فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ، ولكني وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه .. وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم وحسن التصور » . فأبو حيان على لسانه حيناً ، وعلى لسان ابن عيسى الوزير حيناً آخر يقرر :

١ ــ أن قدامة بذ سابقيه في وصف النثر وفنون البلاغة من طريق اللفظ والمعنى في المنزلة الثالثة من كتابه .

٢ ــ أنه بتأليفه هذا الكتاب وابتكاره لبحوثه يضارع الخليل بن أحمد في سمو مكانته وابتكاره لعلم العروض .

٣ ــ أن كتابه هذا عرض على عليّ بن عيسى الوزير سنة ٣٢٠ هـ .

٤ ــ أن أسلوب قدامة في كتابه هجين اللفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة ، واعتذار الوزير عنه في ذلك رائع ممتع دال على مدى مكانة قدامة عند معاصريه من المفكرين ، ولكن ما هو هذا الكتاب الذي استحق هذا التقدير والإعجاب من رجلين يعدان من أعظم رجال الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري وإذاً فليس « نقد النثر » هو الكتاب الذي عناه أبو حيان والوزير .

ولعله كتاب آخر ــ ولا شك ــ غير « نقد النثر » الذي لا يمت إلى قدامة بصلة ، وغير نقد الشعر ، الثابت النسبة إليه والذي نقده الآمدي وشرحه عبد اللطيف بن يوسف .. وقدامة له ــ غير « نقد

الشعر – كتاب في صنعة الكتابة »[1] وهو غير « نقد النثر » ، لأن هذا المرجع قد ذكر نقد النثر ، وجعله مؤلفاً آخر سواه[2] ، وإن كان قـد نسبه إلى قدامة ، ويذكر صاحب كشف الظنون أن لقدامة كتاباً اسمه « سر البلاغة في الكتابة »[3] ، وكذلك يذكر اليزدادي في كمال البلاغة أن لقدامة تأليفاً في الكتابة (ص ١٦ كمال البلاغة) .. فليس من المستبعد إذاً أن يكون التوحيدي وعلي بن عيسى الوزير قد قصدا كتاباً من هذين الكتابين : صنعة الكتابة وسر البلاغة ، وقـد يكون هذان الإسمان عنوانا لكتاب واحد لقدامة في بلاغة الكتابة ، وعلى أي حال فالذي نراه ونجزم به أن نقد النثر لا يمتّ إلى أحـد الكتابين بصلة ، وليس هو أيضاً من مؤلفات قدامة في البيان ، ومما يؤيد ذلك وصف اليزدادي لكتاب قدامة ، وأنه « فصول مستخرجة من رسائل الكتاب الخ » (١٦ و ١٩ كمال البلاغة) .

ولقدامة « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالآستانة ، وقد استخرج دي غويه نبذاً منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » وهذه النبذ هي الأبواب : الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المنزلة الخامسة ، والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة » رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً ، ويقول المطرزي – في كتاب الإيضاح شـرح مقامات الحريري – مخطوطة المتحف البريطاني : « وله تصانيـف كثيرة منها كتاب الألفاظ ، وكتاب نقد الشعر ، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء . وقيل هو لوالده جعفر . ومنها صناعـة

---

(١) راجع ٢٠٢ جـ ٢ كتاب الادب العربي لجورجي زيدان ·

(٢) راجع ١٧٣ ج ٢ نفس المرجع ·

(٣) راجع ٤٧٠ ج ١ كشف الظنون ·

الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على تسع منازل ، كل منزلة منها تحتوي على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء ؛ وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٣٧ هـ موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن في الخراج وصناعة الكتابة » .

كتاب نقد الشعر

(١)

أبو الفرج قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) عالم ناقد بصري مشهور ألف كتاباً سماه « نقد الشعر » طارت شهرته في كل مكان . وصار أصلاً ، لجميع الدراسات النقدية عن الشعر [١] .

وقد عرّف قدامة الشعر بأنه قول موزون مقفى يدل على معنى ، وذكر أن الشعر قد يكون جيداً أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى [٢]

ويقول عن منهجه في نقده للشعر : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغه غاية الجودة ، فإن وجد بضد هذا الحال كان شعراً في غاية الرداءة وإلا فهو بين طرفي الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسطه بينهما .

ويقرر أن المعاني كلها معرضة للشاعر وله أن يتكلم منها فيما أحب ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر منها كالصورة ، والمهم بلوغ الشاعر منزلة الجودة ، لا كتابته في معان رديئة .

---

(١) لشهرة نقد الشعر ألف الآمدي م ٢٧١ هـ كتابا في تبيين غلط قدامة في كتابه نقد الشعر (ص ١٢٥ الموازنة للآمدي طبعة صبيح ، ومعجم الادباء في ترجمة الآمدي) ـ وألف عبد اللطيف البغدادي « ٦٢٩ هـ » كتابا في شرح نقد الشعر لقدامة « ٧ جـ ٢ فوات الوفيات » ، ولعبد اللطيف البغدادي هذا كتاب اسمه قوانين البلاغة ، واختصر كتاب الصناعيين العسكري (٧ و ٨: ٢ فوات الوفيات) ، ويروي مؤلف كشف الظنون لعبد اللطيف بن يوسف « البغدادي » هذا كتابا اسمه « تكملة الصلة في شرح نقد الشعر لقدامة» (٢٤٦ : ١ كشف الظنون) وكتابا آخر اسمه كشف الظلامة عن قدامة «٤٠٠: ٢ كشف الظنون » .

(٢) ص ١٣ نقد الشعر شرح « منون » .

ويقرر أن الشعر مؤلف من أربعة عناصر : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ويتألف من هذه العناصر أربعة عناصر أخرى هي :

١ — ائتلاف اللفظ مع المعنى أو الوزن .

٢ — ائتلاف المعنى مع الوزن أو القافية .

أما صفات اللفظ الجيد عنده فهي : سماحة اللفظ — سهولة مخارج الحروف — الخلو من البشاعة — الفصاحة .

وأما صفات الوزن الجيد فهي : سهولة العروض — الترصيع .

وأما صفات القوافي الجيدة فهي : عذوبة حروف القافية — سهولة مخرجها — التصريع في المطلع .

وأما صفات المعنى الجيد عنده فهي : الوفاء بالغرض المقصود ، أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الإقتصار على الحد الوسط ويقول : إنه عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم : أعذب الشعر أكذبه ، وكذلك ذهب فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم ، والغلو من باب الخروج عن الموجود والدخول في باب المعدوم ، فالمراد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ، ولما كانت المعاني عند قدامة لا نهاية لها فقد عدد نعوت الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف الخ .

فنعت المدح الجيد عنده هو : الصدق — ويقسم الفضائل الإنسانية إلى أربع : العفة والشجاعة والعدل والعقل ، ويقول : إن المدح المصيب يكون بهذه الصفات أو ببعضها وإن كان ذلك يعد قصوراً ، وقد يصف الشاعر الممدوحين ببلوغ الغاية في هذه الصفات من باب الغلو والمبالغة .. والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته ضد صفات المدح ،

ويقرر إنه ليس بين المرثية والمدحة فرق إلا في اللفظ دون المعنى ، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هي أن يجري الأمر فيه على سبيل المديح .. ثم يذكر نعوت التشبيه الجيد ، والوصف الجيد ، والغزل الجيد .

ويقول : إن هذه هي نعوت أغراض الشعر التي نحتها الشعراء من المعاني وهذه الأغراض بالنسبة للمعاني جزء من كل ، فأما ما يعم جميع المعاني من نعوت الشعر فهي : صحة التقسيم — صحة المقابلة — صحة التفسير — التتميم — المبالغة — التكافؤ — الإلتفات — الإستغراب والطرافة .

ثم يذكر قدامة نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى من : مساواة ، وإرداف ، وإشارة ، وتمثيل ، ومطابق ومجانس .

ويعدد نعوت ائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية [من ترشيح وإيغال] .

ويذكر عيوب الشعر في اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية ، وعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى وائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية ، وهي كلها بعكس ما سبق أن قرره في صفات الجودة .

(٢)

والكتاب في غاية الأهمية في بابه ، وقد تأثر فيه قدامة بكتاب [فن الشعر] لأرسطو تأثراً واضحاً .

هل أن قدامة يناقض نفسه حين يذهب إلى أن الشاعر يجب ألا

يمدح أحداً إلا بمـــا هو فيه [١] ، ثم يذكر أن الشاعر المجود في المدح هو من يجمع جميع الفضائل الإنسانية للممدوح .. وحين يرى قدامة أن المبالغة أجود يعود فيقيدها بمنهج العرب ومألوفهم [٢] ، ثم يقيدها بألا تخرج إلى حد الممتنع الذي لا يكون [٣] .

وقدامة مع تفضيله للمبالغة يرى أن كثيراً في قوله لعبد الملك : « على أبي العاصي دلاص حصينة » الخ أجود من الأعشى في قوله : « كنت المقدم غير لابس جنة الخ » ، وقدامة مخطىء هنا لأن العرب قد تصف الرجل بالشجاعة ، وقد تصفه بالإحتراس ولبس الدروع ، وذلك منهجان من مناهج العرب في المدح [٤] .

وقدامة يحكم عقله المنطقي في النقد إلى أبعد حد ، فيجعل المـــدح الجيد بذكر جميع الفضائل الإنسانية ، ويعيب المدح إذا كان بشرف الآباء لأنه ليس مدحاً بفضائل [٥] ، ويجعل الهجاء بنفي أن يكـــون الرجل شريف الحسب معيباً ، ويقرر أنه ضد المدح ، ويجعل المرثية هي المدح مع جعل الأسلوب ماضياً وذلك كله خطأ ما بعده من خطأ .

وقدامة يجعل طرافة المعنى واختراعه ليس نعتاً للشعر بل للشاعر [٦] وذلك بين الخطأ .

وقدامة يستجيد أبياتاً ويعيب أبياتاً أخرى دون ذوق أدبي مصقول ومن مثل ذلك أيضاً أنه يجعل تناقضاً معيباً في بيت ابن هرمة :

---

(١) ص ٣٨ نقد الشعر .

(٢) ص ٣٧ سطر ١٠ ـ ١٢ .

(٣) ص ١٢٥ سطر ١٢ ـ ١٥ .

(٤) ص ٣٢٨ ـ ٣٣١ الوساطة .

(٥) ص ١١١ و ١١٢ نقد الشعر .

(٦) ص ٨٨ و ٨٩ المرجع .

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبــه　　يكلمه من حبه وهو أعجـم

لقوله « يكلمه » و « أعجم » [1]

ونراه يعيب البيت :

كانت بنو غالب لأمتهـــــا　　كالغيث في كل ساعة يكـف

لأنه كما يقول : ليس في المعهود أن يكف الغيث كل ساعة أي يمطر [2] .

وكذلك يثبت التناقض في قول زهير [3] :

قف بالديار التي لم يعفهـا القدم　　بلى وغيرها الأرواح والديـم

(٣)

على أن قدامة في كتابه يضع منهجاً نقدياً لنقد الشعر ، متأثراً فيه بالثقافتين العربية الأصيلة ، والفلسفية اليونانية ، ونهج قدامة في نقد الشعر نقد عقلي ، فقد صور المثل الأعلى للشعر وما يجب أن يكون عليه وذلك ببيان عناصر للشعر والأوصاف الجميلة لكل عنصر ، ثم قال إن هذا المثل الأعلى يرشدنا أولاً وبالذات إلى معرفة جيد الشعر ، وثانياً وبالتبع إلى معرفة رديئة الذي هو ضد الجيد منه ، وثالثاً معرفة درجة الرداءة بالنسبة إلى ما كان من الشعر بين الجودة والرداءة .

ولقد اطلع قدامة على الأدب العربي وعلى آراء الفلاسفة في نقد الشعر وشرع للأدب العربي قوانين جديدة لنقده على ضوء ما قـرأ في النقد اليوناني والعربي ، ولكنه كان متأثراً في ذلك بعقله المنطقي أكثر

---

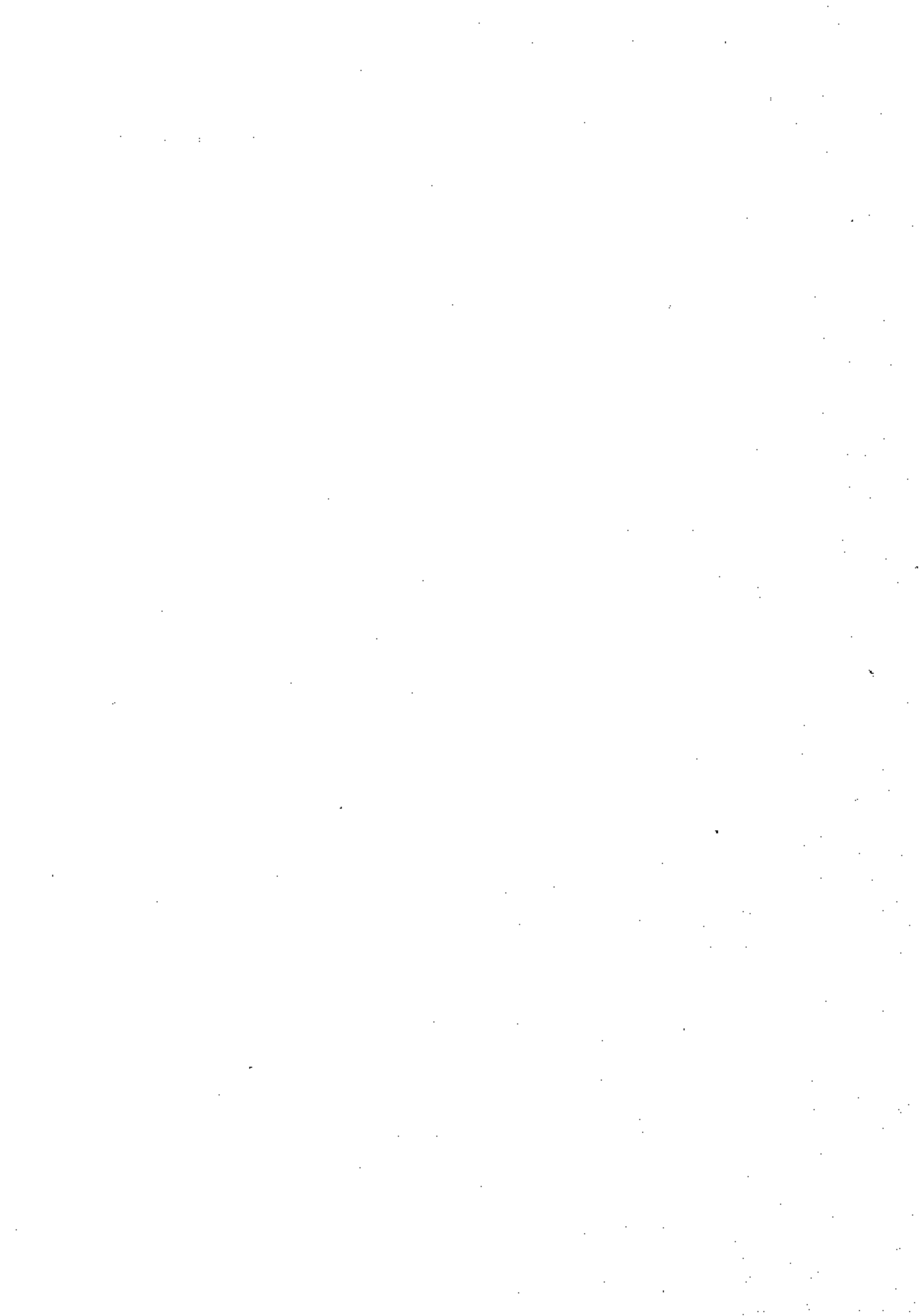
(١) ١٢٣ نقد الشعر .
(٢) ص ١٢٦ المرجع .
(٣) ص ١٢٤ المرجع .

من تأثره بمناهج النقاد العرب كالأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم من الذين حكموا الذوق الأدبي وحده والنهج العربي في الأسلوب دون سواه .. قدامة حكم عقله ، وثقافته اليونانية فيما ذكر من موازين النقد فأسرف وأحال .

على أن هذا النهج الذي نهجه قدامة كان أكبر خطوة جريئة لتدوين البلاغة العربية وأصول النقد الأدبي ، وحسبك أن ثلاثة من النقاد العرب احتذوا قدامة ونهجه في النقد احتذاء كاملاً ، وأولهم هو أبو هلال العسكري [٣٩٥ هـ] في كتابه « الصناعتين » وثانيهما ابن رشيق [٤٥٦ هـ] في كتابه « العمدة » ، وثالثهما ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) في كتابه « سر الفصاحة » وقد تأثر علماء البلاغة تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد الشعر » ومنهم عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وسواهم .

ويمتاز قدامة في كتابه بالمنهجية العقلية والعلمية وبتخير الشواهد والمثل .

كتاب نقد الشعر لقدامة



بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر لإتمامه

[مقدمة المؤلف لكتابه]

(قال أبو الفرج قدامة بن جعفر) :

العلم بالشعر ينقسم أقساماً :

فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه .

وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه .

وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته .

وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به .

وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه .

وقد عنى الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر ، وما الذي يريد بها الشاعر .

ولم أجد أحداً وضع [1] في « نقد الشعر » وتخليص جيده من رديئه كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم [2] أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة ، لأن علم الغريب والنحو وأغراض المعاني محتاج إليه في أصل الكلام للشعر والنثر ، وليس هو بأحدهما أولى بالآخر ، وعلما [3] الوزن والقوافي وإن خصا بالشعر وحده فليست الضرورة

(١) اي الف .

(٢) وهونقد الشعر .

(٣) الاصح : وعلمي بالعطف « على علم » سابقا .

داعية إليهما لسهولة وجودهما في طباع أكثر الناس من غير تعلم . ومما يدل على ذلك أن جميع الشعر الجيد المستشهد به إنما هو لمن كان قبل وضع الكتب في العروض والقوافي ، ولو كانت الضرورة إلى ذلك داعية لكان جميع هذا الشعر فاسداً أو أكثره ؛ ثم ما نرى أيضاً من استغناء الناس عن هذا العلم بعد واضعيه إلى هذا الوقت فإن من يعلمه ومن لا يعلمه ليس يعول في شعر إذا أراد قوله إلا على ذوقه دون الرجوع إليه فلا يتوكد عند الذي يعلمه صحة ذوق ما تزاحف منه بأن يعرض عليه ، فكان هذا العلم مما يقال فيه إن الجهل به غير ضائر وما كانت هذه حاله فليست تدعو إليه ضرورة .

فأما علم جيد الشعر من رديئه فإن الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم ، فقليلاً ما يصيبون ، ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب [1] فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع فأقول :

---

(١) هذا يشير الى ان كتاب قدامة هذا هو اول مؤلف في نقد الشعر كما يرى قدامة .

الفَصْل الأول

إن أول ما يحتاج إليه في شرح هذا الأمر [١] معرفة حد [٢] الشعر الحائز عما ليس بشعر ، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه : إنه قول موزون مقفى يدل على معنى فقولنا « قول » دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا « موزون » يفصله مما ليس بموزون ، إذ كان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا « مقفي » فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع ، وقولنا « يدل على معـنى » يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ، فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً على هذه الجهة لأمكنه وما تعذر عليه .

فإذ قد تبين أن ذلك كذلك ، وأن الشعر هو ما قدمناه ، فليس من الإضطرار إذاً أن يكون ما هذه سبيله جيداً أبداً ولا رديئاً أبداً ، بل يحتمل أن يتعاقبه [٣] الأمران [٤] مرة هذه وأخرى هذه على حسب ما يتفق ، فحينئذ يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء .

ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميـــع مـــا يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان ، أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة ، وحدوده [٥] بينهما تسمى الوسائط ، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجود ، فإن كان

---

(١) وهو بيان وجه الحاجة الى معرفة كل من الجيد والرديء ، أو بيان ان من الشعر ما هو جيد ومنهما هو رديء .

(٢) أي ماهيته .

(٣) أي يتداوله .

(٤) الجودة والرداءة .

(٥) عطف على « طرفان » .

معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه سمي حاذقاً تام الحذق ، فإن قصر عن ذلك نُزل له اسم بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها ، إذ كان الشعر أيضاً جارياً على سبيل سائر الصناعات ، مقصوداً فيه وفي ما يحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد ، وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته . فإذا قد صح أن هذا على ما قلناه فانذكر صفات الشعر الذي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة ، وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات ، والغاية الأخرى والمضادة لهذه الغاية هي نهاية الرداءة وأذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها ، ليكون ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها يسمى شعراً في غاية الجودة ، وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة ، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسماً [1] بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه : صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء ، فإن سبيل الأوساط في كل ما له ذلك أن تحد بسلب الطرفين ، كما يقال مثلاً في الفاتر الذي هو وسط بين الحار والبارد إنه لا حار ولا بارد ، والمز الذي هو وسط بين الحلو والحامض إنه لا حلو ولا حامض .

ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ما أريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة ، من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها ، مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى — كان —

---

(١) الاصح : اسم على بناء «ينزل» للمفعول .

من الرفعة والضعة ، والرفث والنزاهة ، والبذخ والقناعة ، والمدح [1] وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمـــة ، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة .

ومما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين ، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً ، بينا غير منكر عليه . ولا معيب من فعله . إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته . واقتداره عليها .

وإنما قدمت هذين المعنيين [2] لما وجدت قوماً يعيبون الشعر إذا سلك الشاعر هذين المسلكين [3] . فإني رأيت من يعيب أمرأ القيس في قوله :

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ
فألهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمائِمَ مُحْوِلِ [4]
إذَا ما بكَى مَنْ خلفَها انصرفَتْ لـهُ
بِشَقٍّ وتَحْتِي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

ويذكر أن هذا معنى فاحش . وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءتهُ في ذاته .

وكذلك رأيت من يعيب هذا الشاعر أيضاً [5] في سلوكه للمذهب الثاني [6] الذي قدمته ، حيث استعمله باقتدار وقوة ، وتصرف فيه إحساناً وحذاقة . وذلك قوله في موضع :

---

(١) الاصح : والمدح والهجاء .

(٢) وهما : ان المعاني كلها معرضة للشاعر ، وان مناقضة الشاعر نفسه أمر غير منكر .

(٣) بأن جعل المعاني فيه كلها معرضة للشاعر أو ناقض الشاعر نفسه في كلمتين أو قصيدتين .

(٤) الطروق : الاتيان ليلا . المرضع : هي التي لها ولد رضيع . محول: أتى عليه حول .

(٥) وهو امرؤ القيس .

(٦) وهو مناقضة الشاعر نفسه في كلمتين .

فلَو أنّ ما أسعَى لأدْنى معيشة كفَاني ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ
ولكنّما أسعَى لمجدٍ مؤثّلٍ وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثّلَ أمثالي[1]

وقوله في موضع آخر :

فتَملأُ بَيْتنا أقِطاً وسَمْناً وحسبُكَ مِنْ غِنى شِبعٌ و رِيُّ[2]

فإن من عابه زعم أنه من قبيل المناقضة ، حيث وصف نفسه في موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنيء المعيشة ، وأطرى في موضع آخر القناعة وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشبعه وريه .

وإذ قد ذكرت ذلك فلا بأس بالرد على هذا العائب في هذا ضع [3] ليكون في ما احتج به بعد التطريق [4] لمن يؤثر النظر في هذا العلم [5] [طريق] إلى التمهر فيه ، فأقول :

إنه لو تصفح أولاً قول امرىء القيس حق تصفحه لم يوجد معنى ناقض معنى ، فالمعنيان في الشعرين متفقان ، إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر ، وليس أحد ممنوعاً من الإتساع في المعاني التي لا تتناقض ، وذلك أنه قال في أحد المعنيين :

فلَو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفَاني ولم أطلبْ قليلٌ منَ المَالِ

وهذا موافق لقوله :

وحسبك من غنى شبع وري

---

(١) مؤثل : ثابت .
(٢) الاقط : اللبن الخاثر أو هو لون من الجبن .
(٣) وهو الثاني (أي المناقضة) .
(٤) طرق له تطريقا اتخذ له وعبد له طريقا .
(٥) وهو النقد .

ولكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء ، وهو[1] قوله : لكني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أؤثله ، فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرين ، والزيادة في الشعر الأول التي دل بها على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما ، ولا تنسخه وأرى أن هذا العائب ظن أن امرأ القيس قال في أحد الشعرين : إن القليل يكفيه ، وفي الآخر : إنه لا يكفيه .

وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ، ولا ذهب إليه ، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئاً ، من أجل أنه لم يكن في شرطٍ شرطه يحتاج إلى أن لا ينقض بعضه بعضاً ، ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة أيضاً لم يجر مجرى العيب ، لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً ، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر ، لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر ، ومع ما قدمته فإني لما كنت آخذاً في معنى[2] لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها ، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماءً اخترعتها ، وقد فعلت ذلك والأسماء لا منازعة فيها ، إذ كانت علامات ، فإن قنع بما وضعته من هـذه الأسماء وإلا فليخترع كل من أبى ما وضعته منها ما أحب ، فإنه ليس يُنَازعُ في ذلك .

★ ★ ★

وإذ قدمت ما احتجت إلى تقديمه فأقول :

إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفي يدل على معنى ، وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي تحوزه[3] عن غيره ، كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه

(١) أي والزائد قوله .
(٢) وهو وضع ميزان دقيق للنقد .
(٣) تفصله .

كما يوجد في كل محدود معاني حده ، لأن الإنسان مثلاً يحد بأنه حي ناطق ميت ، فحي بمعنى الحياة التي هي جنس الإنسان الموجود فيه ، وهو التحرك والحس ، وكذلك معنى النطق الذي هو فصله مما ليس بناطق موجودٌ فيه ، وهو التخيل والذكر والفكر ، ومعنى الموت الذي في حد الإنسان وهو قبول بطلان الحركة ، وكذلك أيضاً معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه ، وهو حروف خارجة بالصوت ، متواطأ عليها ، وكذلك معنى الوزن ومعنى التقفية ومعنى ما يدل عليه اللفظ ؛ فإن كان ذلك كما قلنا فالشعر إنما هو ما اجتمع من هذه الأسباب التي يحيط بها حده ولما كان كل مجتمع وكل مؤلف من أمور ، فالأمور مؤلف من بعضها مع بعض ، يزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الأمور وقلتها ، وجب أن يكون الشعر أيضاً لما كان مجتمعاً من أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جارياً هذا المجرى ، وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف إلى ذلك عدة الأسباب المفردات من غير تأليف ، فقد أتي على جميع الأسباب التي يجب الكلام فيها من أمر الشعر فأقول :

إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة ، وهي : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والتقفية وجب بحسب هذا العدد أن يكون لها ستة أضرب من التأليف ، إلا أني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف ، فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها ، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الأخر ائتلافاً ، إلا أني نظرت فيها فوجدتها — من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه — ائتلافاً مع سائر البيت فإما مع غيره فلا لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ، ولها دلالة على معنى لذلك اللفظ أيضاً ، والوزن شيء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى ؛ فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر ائتلاف القافية أيضاً . إذ كانت لا تعدو أنها لفظة

كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع المعنى ، فأما من جهة ما هي قافية فليس ذلك ذاتاً يجب بها أن يكون لها به ائتلاف مع شيء آخر ، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره ، وليس أنها مقطع ذاتي لها . وإنما هي شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها ، وليس الترتيب أن لا يوجد للشيء تال يتلوه ذاتاً قائمة فيه ، فهذا هو السبب في أنه لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها . فأما من جهة ما تدل عليه فإن ذلك تأليف معنى إلى ما يتألف ، إلا أني نسبته في هذا الكتاب إلى القافية على سبيل التسمية ، وإن أراد مريد إلى أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتألف معه لم أضايقه ، فصار ما أحدث من أقسام ائتلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض أربعة ، وهي :

ائتلاف اللفظ مع المعنى .

وائتلاف اللفظ مع الوزن .

وائتلاف المعنى مع الوزن .

وائتلاف المعنى مع القافية .

وصارت أجناس الشعر ثمانية ، وهي الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده ، والأربعة المؤلفات منها .

ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يمدح بها ، وأحوال يعاب من أجلها ، وجب أن يكون جيد ذلك ورديئه لاحقين للشعر إذ كان ليس يخرج شيء منه عنها . فلنبدأ بذكر أوصاف الجودة في كل واحد منها ، ليكون مجموع ذلك إذا اجتمع للشعر كان في نهاية الجودة وإذا لم يكن فيه شيء منها كان في نهاية الرداءة لا محالة ، إذ كان هذان الطرفان مشتملين على جميع النعوت أو العيوب التي نذكرها ،

ولما لم يكن كل شعر جامعاً جميع النعوت أو العيوب ، وجب أن تكون الوسائط التي بين المدح والذم تشتمل على صفات محمودة وصفات مذمومة ، فما كان فيه من النعوت أكثر كان إلى الجودة أميل ، وما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب ، وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطاً بين المدح والذم . وتنزيلُ ذلك إذا حصر ما في الطرفين من النعوت والعيوب لا يبعدُ على من أعمل الفكر وأحسن سَبْرَ الشعر [١] .

---

(١) سبر الجرح : نظر مامدي غوره وكل أمر رزته وجربته وخبرته فقد سبرته .



الفَصْل الثّاني

فلنبدأ من ذكر الأجناس الثمانية بأولها من الأربعة المفردات ، وهو اللفظ ونذكر نعوت ذلك ، ونعوت سائر الأجناس ، ونجعل هـــذا الفصل مقصوراً على ذكر النعوت .

١ – نعت اللفظ

أن يكون سمحاً ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليـــه رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة ، مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك وإن خلت من سائر النعوت للشعر ، منها أبيات من تشبيب قصيدة للحادرة الذبياني وهي :

وتصدَّقت حتى أستبَتكَ بِواضحٍ صلتٍ كمنتَصِبِ الغزالِ الأتلعِ [١]
وبمقلَتَي حوراء تَحسبُ طَرفها وسْنَانَ حرةٍ مُستَهِلِ المدمعِ [٢]
وإذا تُنازعكَ الحديث رأيْتَها حَسَناً تَبَسُّمُها لذيذَ المكرَعِ [٣]
كَغَريضِ ساريةٍ تُصَفِّحُه الصبا بنزيلِ أسحرَ طيِّبِ المستَنقعِ [٤]
لَعبَ السيولُ بهِ فأصبحَ ماؤُهُ عللاً يُقطّعُ في أصول الخروعِ [٥]
فَسُمَيُّ ويحكِ هلْ علمتِ بفتيةٍ غاديتِ لِذَّتهمْ بأدكنَ مترعِ [٦]
بَكروا عليَّ بسُحرةٍ فَصبحتُهم من عاتقٍ كدَمِ الذَّبيحِ مشعشعِ [٧]

---

(١) الـواضح : الابيض اللـــون أي يجيد واضح الصلت : الواضح استبتك : أسرتك · الاتلع : الطويل العنق ·

(٢) الحور : اشتداد بياض العين وسوادها · الطرف : العين·وسنان: نائم · حرة : خالصة · ومستهل : هاطل · المدمع : المدموع ·

(٣) المكرع هو الفم ·

(٤) السارية : السحابة تسري ليلا · أسحر : اسم مكان · الصبا : ريح الشمال وهي باردة ·

(٥) الخروع كدرهم نبت لا يرعى ·

(٦) سمي : اسم المحبوبة أدكن : أي ابريق أدكن اللون · مترع : مملوء

(٧) العاتق : الخمر القديم · مشعشع : ممزوج ·

ومن هذا الجنس قول محمد بن عبدالله السلاماني :

ألا ربما هاجت لك الشوق عرصة ٌ بمروان تمريها الرياح الزعازع ُ[1]
بها رسم ُ أطلال وجُثم ٌ خواشع ٌ عليهن ّ تبكي الهاتفات ُ السواجع [2]
وبيض ٍ تهادى في الرياط كأنها مَها ربوة ٍ طابت لهن ّ المراتع [3]
تحرّين َ منّا موعداً بعد رقبة ٍ بأعقر َ تعلوه ُ الشروح الدوافع ُ[4]
فجئن َ هدواً والثياب كأنها من الطل بلّتها الرهام النواشع [5]
طروقاً وألجأنا الهوى نحو َ ربوة ٍ بها غفلت ْ عنّا العيون ُ الخوادع [6]
فلمّا قضينا غصّة من ْ عتابنا وقدفاض من بعد العتاب المدامع [7]
جرَى بيننا منّا رسيس ٌ يزيدنا سقاماً إذا ما استيقنته ُ المسامع [8]
قليلاً وكان َ الليل ُ في ذاك َ ساعة ً وقمن ومعروف من الصبح صادع [9]
وولين َ من ْ وجد ٍ بمثل ِ الذي بنا وسالت على آثارهن ّ المدارع [10]
يُزجّين بكراً يبهر ُ الرّيط َ متنها كما مار َ ثعبان الغضا المتدافع ُ

---

(١) العرصة كل بقعة بين الدور ليس بها نبات . تمريها . تدرها . الزعازع : الرياح الشديدة الحركة . مروان : موضع .

(٢) الرسم : الاثر . الجثم : ما تلد في الارض . الهاتفات : هتف الحمامة تهتف صاتت . السواجع : الحمامة رددت صوتها وجمعها سواجع .

(٣) وبيض أي ونساء بيض . الرياط : جمع مفرده ريط وهو اللاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين . المها : البقرة الوحشية . الربوة : ما ارتفع من الارض . المراتع جمع مرتع .

(٤) الرقبة : الانتظار . تحرين : استوثقن . أعقر : الموضع من الرمل لا نبات به .

(٥) الرهام : المطر الضعيف الدائم . النواشع : جمع ناشع من نشع اذا امطر قطرة قطرة .

(٦) طروقا : أي بليل .

(٧) غصة : جعل العتاب ومرارته كالغصة في الحلق .

(٨) الرسيس : أول الحب . السقم : المرض . استيقنه المسامع : علمته وتحققته .

(٩) صادع : مشرق .

(١٠) المدارع : نوع من الثياب الطويلة ودرع المرأة قميصها .

وقُمنَ إلى خُوصٍ كأنّ عيونَها قلاتٌ تَرَاخى ماؤها فهو ناصِع [1]

ومنه بيتان لشماخ [2] يذكر نهيق الحمار :

إذا رجعَ التَّعشير رداً كأنّه بِناجِذِه مِنْ خلفِ قارِحه شَجِ [3]
بعيدُ مَدى التَّطرِيبِ أولى نُهاقِهِ سَحيلٌ وأخرَاه خَفِيُّ المحشرَجِ [4]

ومنها أبيات لجبهاء الأشجعي :

أمنَ الجميع بذي اليَفاعِ رُبوع رَاعت فؤادكَ والربُوع تَروع [5]
مِنْ بَعدِ ما بَليت وغيَّر آيَها قَطرٌ ومسبِلة الذُّيول خَديع [6]
جَوَّالةٌ برُبى المَلاَ غَزَلِيةٌ بِرِغامِهِنَّ مربَّةٌ زَعزوع [7]
يا صاحِبيَّ ألا ارفعَاني إنّهُ يَشفي الصُّدَاع فَيُذْهل المرفُوعُ
ألوَاحُ ناجِيةٍ كأنّ قليلَها جذعَ تطيفُ بِهِ الرقاة مَنيعُ [8]
تَنجُو إذا نجدَتْ وعارضَ أوبَها أشلاء لحُنَ مِنَ النِّياطِ خُضوعُ [9]
في كل مطردِ الرفاقِ كأنّهُ نِسرٌ يُرنّقُ قد دَهاهُ وقوع
عريَنَ دائرةَ الظّهيرةِ بَعدَ ما وغرنَ والحدَق الكنِين خَشوع

(١) خوص : الخوص جمع أخوص والاخوص من غارت عينه في راسه · القلت : النقرة في الجبل · ناصع : خالص من كل شيء ·

(٢) شاعر مخضرم بدوي مجيد ·

(٣) رجع : ردد · التعشير : نهيق الحمار عشرا · الناجذ : واحد النواجذ وهي أقصى الاضراس وهي أربعة أو هي الانياب · شج : شجي بالعظم اذا اعترض في حلقه ·

(٤) المدى : الغاية · التطريب : ترجيع الصوت وتزيينه · أولى : أول· السحيل : النهاق ·

(٥) اليفاع : المكان المرتفع ·

(٦) أيها : رسمها · القطر : مطر السحاب · مسبلة الذيول : أي سحابة طويلة الحواشي · خديع : من خدعه أي ختله ·

(٧) جوالة : طوافة · الرغام : التراب اللين · زعزوع : كثيرة زعزعة الاشياء ·

(٨) الناجية : الناقة · الرقاة : جمع مفرده : راق ·

(٩) لاح : ظهر · النياط · المفازة البعيدة الطرق ·

بأمقّ أغبرَ يلتقي حنّانُـــهُ   للريحِ بينَ فروعِهِ ترجيع
يَعتَسُّ مُتزلِّنٌ أطلسُ جائِع   طيّانُ يتلِفُ ماله ويضيع[1]

ومثله أيضاً [2] :

ولما قضينا من منى كلّ حاجةٍ   ومسّح بالأركان من هوَ ماسح
وشدّت على دهم المَهاري رحالنا   ولم ينظر الغادي الذي هو رائح[3]
خذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا   وسالَتْ بأعناقِ المَطي الأباطح[4]

---

(١) اعتس طاف . الاطلس : الذئب في لونه غبرة الى السواد ، والمراد به الوجل القبيح . طيان : طاوى الايام بدون أكل .
(٢) الابيات لكثير عزة الشاعر الاموي المشهور .
(٣) دهم المهارى : سودها .
(٤) الاباطح : مفرده ابطح وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى .

٢ ـ نعت الـوزن

أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها وإن خلت من أكثر نعوت الشعر .. منها قصيدة حسان :

ما هاجَ حَسّانَ رسومُ المقـام ومَظْعن الحي ومبْنى الْخيامْ[١]
والنؤى قَد هـدّمَ أعضـادَه تَقَادُم العَهدِ بِوادٍ تهامْ[٢]
قَد أدْرك الوَاشونَ مـا أملّوا فالحبلُ من شعثاء رثُّ الزمَامْ[٣]
كَأن فاهَا ثَغَبٌ بـاردٌ في رَصفٍ تحت ظلالِ الغَمامْ[٤]

ومنها قصيدة طرفة :

مَن عائِدي اللّيلة أم من نصيح بِتُّ بنصب فَفؤادي قَريحْ[٥]
بانت فأمسى قَلبُهُ هائمـاً قَد شفّه وَجد بها ما يريحْ[٦]
في سلفٍ أرعنَ مُنفجـر يقدم أولى ظعن كالطلّوحْ[٧]

---

(١) رسوم : جمع رسم وهو ما كان لاصقا بالارض من آثار الديار . مظعن : مصدر ميمي من ظعن أي سار ورحل . والحي : بطن من بطون القبيلة والمراد به هنا القوم . ومبنى الخيام:بناؤها أو مكان بنائها واقامتها.

(٢) النؤى الحفر حول الخباء لئلا يدخل ماء المطر . أعضاده : نواحيه. تهام : تهامي نسبة الى تهامة . وتهامة مكة وبلاد جنوب الحجاز .

(٣) رث : خلق بال شعثاء : محبوبته .

(٤) الثغب : الغدير فـي ظـل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد مـاؤه . الرصف : الحجارة المتراصفة المتدانية .

(٥) عائدي : العائد : زائر المريض . قريح بمعنى مقروح أي مجروح .

(٦) ما يريح : ما يتباعد .

(٧) منفجر : متدفق في سيره . يقدم : يتقدم . طلوح : جمع مفرده طلح وهو شجر شبه الظعن به .

عالينَ رَقماً فاخِراً لونُــــهُ   مِنْ عَبقَرِي كنَجيع الذبيح[1]

ومثله أبيات المنخل بن عبيد اليشكري :

ولَقَدْ دخلتُ على الفَتاة الخدرَ في اليوم المَطـير[2]
الكاعِب الحَسناءِ تَرفلُ في الدِّمقس وفي الحرير[3]
فَدفَعتُها فَتدافَعت   مَشيَ القَطَاة إلى الغديـر[4]
وعَطفتُها فَتعطَّفَت   كتَعَطف الغُصن النَّضير[5]
ولَثمتها فتَنَفَّست   كتَنَفس الظبي الغَرير[6]
ولَقَد شَرِبت مِنَ المدا   مَة بالكبير وبالصغير[7]
فإذا سَكِرتُ فإنني   ربُّ الخورنَق والسَّدير[8]
وإذا صحوتُ فإنني   رب الشُويهة والبعير[9]

ومثله أبيات كعب بن الأشرف اليهودي :

رُب خال لي لو أبصرتــهُ   سَبط المَشيـة أبَّـاء أنف[10]
ليِّنُ الجانب في أقربـه   وعلى الأعداء سمٌ كالزّعف[11]

---

(١) عالين رفعن والرقم : ضربا من الوشي فيها حمرة · فاخرا جيدا · عبقر : بلدة الجن كما يزعم العرب وينسب اليها كل صنعة رائعة · النجيع: الدم الطري · الذبيح : المذبوح ·
(٢) المطير : اليوم الذي يمطر ساعة ويكف أخرى ·
(٣) الكاعب : ذات الثدى المكعب · ترفل : تجر ذيلها · الدمقس : الابريسم ·
(٤) الغدير جانب من المساء يغادرها السيل ·
(٥) عطفتها : أملتها · فتعطفت : مالت على الغصن · النضير : الشديد الخضرة ·
(٦) لثمتها : قبلتها · الغرير ولد الظبي الصغير · تنفست الصعداء لموضعي من قلبها ·
(٧) كنا به عن كثرة شرابه ·
(٨) الخورنق : قصر للنعمان الاكبر · السدير : نهر بناحية الحيرة ·
(٩) الشويهة : تصغير شاه ·
(١٠) سبط : حسن ·
(١١) الزعف : القاتل ·

لنا بئرٌ رَوَاء جمـــــة تُخرج الثمل كأمثال الأكف[1]
وصريرٍ من مَجـالٍ خِلتُهُ آخر الليلِ أهازيج تَدف [2]

★ ★ ★

ومن نعوت الوزن الترصيع ، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم، فمما جاء في أشعار القدماء قول امرىء القيس الكندي :

مِخَشٌ مجشٌ مُقبلٌ مُدْبِر مَعاً كتيسِ ظباءِ الخلّب العدوّان[3]

فأتى باللفظتين الأولين مسجوعتين في تصريف واحد وبالتاليتين لهما شبيهتين بها في التصريف ، وربما كان السجع ليس في لفظـة « ولكن » في لفظتين بالحرف نفسه كقوله :

ألصُّ الضُّروسِ حَنِيُّ الضلوع تبوعٌ طلوبٌ نشيطٌ أشـر[4]

وقصيدة أخرى سجع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله :

وأوتادُه مَاذِيـــةٌ وعَماده رُدينية فيها أسنةٌ تَعضب[5]

وقال زهير بن أبي سلمى :

(١) رواء : كثير مرو · الثمل : المكر ·
(٢) وصرير : ورب صرير · الهزج : صوت مطرب فيه ترنم ·
(٣) المخش : الجريء الماضي · مجش : غليظ الصوت · التيس : فحل الظباء · الخلب نبتة تأكلها الوحوش تضمر عليها بطونها · العدوان : الشديد الجري وامرؤ القيس هو زعيم الشعراء الجاهليين وصاحب معلقـة « قفا نبك » ·
(٤) الص الضروس : ملتصق الاسنان بعضها ببعض·حتى الضلوع ظاهرها تبوع للصيد قوى عليه ·
(٥) الماذية : قيل بيضاء وقيل الماذي خالص الحديد وجيده · أسنة : رماح تعضب : تقطع ·

كبدّاء مُقبلةٌ وركاء مدبِـــرَةٌ   قودّاء فيها إذا استعرضتها خضع

فأتي بفعلاء مفعلة تجنيساً للحروف بالأوزان .. وقال أوس بن حجر :

جَشّا حَناجِـرُها علما مَشافِرُها   تَئن أولادها في دحِض إيضاح[2]

وقال طرفة :

بطيء إلى الداعي سريع إلى الخنا   ذلولٌ بإجماع الرجال ملهّد[3]

وقال عمرو بن أحمر الباهلي :

فمثلكِ ألوَى بالفؤاد وزار بالعداد   وأضحىَ في الحياة وأسكرا[4]

وقال النمر بن تولب :

من صوب سارية علّت بغاديـة   تنهلُ حتى يكادُ الصبحُ ينجاب[5]

وقال :

طويلُ الذراع قصيرُ الكراع   يواشك في السبْسب الأغبر[6]

وقال اللعين المنقري :

مكيثٌ إذا استرخى كميش إذا انتحى   على القرب الأقصى وشدّ له الازرا[7]

---

(١) الكبداء : المرأة الضخمة « الوسط » البطيئة السير · القوداء : الثنية العالية ·

(٢) جشا حناجرها : غليظة شديدة · علما مشافرها : مشقوقة المشافر من اسفل ·

(٣) بطيء : فعيل من البطء · الداعي : المستغيث ، ويروى عن الجلى وهو الامر العظيم · الخنا : الفحش · ذلول : فعول من الذل : ملهد : مدفع· وطرفة هو الشاعر الجاهلي المشهور صاحب معلقة « لخولة أطلال » ·

(٤) فمثلك ألوى بالفؤاد : أي مثلك يذهب به · وزار بالعداد : زيارتك معدودة ·

(٥) الصوب : انصباب المطر · السارية : السحابة تسقط ليلا · علت امتزجت · الغادية : الآتية بالغداة · تنهل : تسقط · ينجاب · ينكشف ·

(٦) الكراع : الاطراف السفلى مـــن الانسان · ياشك : يقارب · السبسب : المفازة او الارض المستوية البعيدة ·

(٧) المكيث : الوزين · الكميش : السريع ·

وقال الأسود بن يعفر :

هم الاسرةُ الدنيا وهم عدد الحصا وإخواننـــا من أمنّا وأبينا

وقال أبو زبيد الطائي :

غير فاشٍ شتماً ولا مخلف طعما إذا كان بالسديف السبيكُ [1]

وقال الافوه الأزدي :

سودٌ غدائرها بلجٌ محاجرُها كأن أطرافها لما اختلى الطنف [2]

وقال العجير بن عبدالله السلولي :

حتّم الذرّى مرسلة منه العــرى وزجلاتُ الرعد في غير صعق [3]

وقال سليك بن سلكة :

إذاسهلت جنّت وإنأحرنت مشت وتعشى بهابين البطون وتصدف [4]

وقال الشماخ

رّعين النّدَى حتى إذا وقدَ الحصى ولم يبقَ من نوء السماك بُروق [5]

---

(١) السديف : شحم السنام . السبيك : مفرد جمعه سبائك وهو مـا سبك من الدقيق ونخل فأخذ خالصه . وابو زبيد شاعر مخضرم أجاد فـي وصف الاسد وتوفي عام ٤١ هـ .

(٢) الغدائر : الشعر الطويل بلج محاجرها : نقية مشرقة والمحاجر ما بدا من البرقع أو ما يظهر من نقابها .

(٣) زجلات الرعد : أصوات الرعد : الصعق : محركة شدة الصوت .

(٤) اسهلت : مشت في السهل . جنت : اسرعت . أحزنت : سارت في الجبال . البطون : الشقوق بين الجبال .

(٥) رعين : من الرعي . والندى: المطر والمراد به ما أنبته مجاز مرسل ووقد الحصى : أشتداد حرارته . النوء : في الاصل النجم ، والمـــراد به انقطاع المطر لان العرب يضيفون المطر الى النجوم السماك : نجم وهو احد السماكين . بروق : جمع برق وهو الذي يلمع في الغيم .

وقال عبيد الراعي :

ضعافُ القوى ليسوا كمن يبتني العُلى جعاسيسُ قصّارون دون المكارم[1]

وقال أيضاً :

سودٌ معاصمها جعدٌ معاقصهـا قد مسّها من عَقيد القار تفصيل[2]

وقال بشامة بن عمرو بن الغدير :

هوانُ الحياة وخزى الممـات وكلاً أراه طعاماً وبيـلا[3]

وقالت ليلى الأخيلية :

وقد كان مرهوبَ السنان وبيِّن اللسان ومجذام السّرى غير فاتر[4]

وقال ناهض بن توبة الكلابي :

صخوب الصدى ظمأى القطا مرّة السري
رَكـا ماؤُهـا بين النّعام الحرائش[5]

وأكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى[6] ، ورموا هذا المرمى وإنما يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به ، فإنه ليس في كل موضع يحسن ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل

---

(١) الجعسوس : القصير الدميم ٠ والراعي شاعر اموي مشهور،توفي عام ٩٠ هـ ٠

(٢) المعصم : موضع السوار من اليد أو اليد ٠ جعد معاقصها : أي قصيرة ٠

(٣) هوان الحياة : ذلها ٠

(٤) مرهوب السنان : ماضي السيف : بين اللسان : فصيحه ٠ ومجذام السرى : قاطع السرى ــ والبيت في رثاء توبة الخفاجي (٦٧ هـ) ــ وقد عاشت ليلى حتى توفيت عام ٨٠ هـ ــ وهي اعلام الشعراء الامويين ٠

(٥) صخوب الصدى : شديدة

(٦) أي قصدوا هذا المنحى ٠

في الأبيات كلها بمحمود ، فإن ذلك إذا كان دل على تعمد وأبان عن تكلف . على أن من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله ، ووالى بين أبيات كثيرة منه ، منهم أبو صخر الهذلي فإنه أتى من ذلك بما يكاد لجودته أن يقال فيه إنه غير متكلف ، وهو قوله :

وتلكَ هيكلة خودٌ مُبتلَّــة صفراء رعبلة في منصب سم[1]

عذبٌ مقبَّلُها جــذل مخلخلُها كالدعص أسفلها مخضودة القدم[2]

سودٌ ذوائبها بيضٌ ترائبهــا محضٌ ضرائبها صيغت على الكرم[3]

عبلٌ مقيدها حــال مُقلدهــا بضٌ مجردها لفَّاء في عمم[4]

سمح خلائقُها درمٌ مرافقهــا يُروى مُعانقها من بارد الشبم[5]

كأن مُعتقةً في الدَّن مغلقــةً صهباء مصفقة من رابىء ردم

شيبت بمرْهبةٍ من رأسٍ مرقبــة جرداء سلهبة في حالق شمـم

خالطَ طعمَ ثناياها وريقتَهــا إذا يكونُ توالى النجم كالنظم[6]

ومنهم أبو المثلم أنه قال :

لو كان للدهر مالٌ كان متلده لكان للدَّهر صخر مال فتيان[7]

---

(١) الخود : الحسنة الخلق الشابة · والمبتلة من النساء الحسنة الخلق فلا تكون حسنة العين سمجة الانف ولا بالعكس · رعبلة ذات خلقان · منصب حسب · سم : عال ·

(٢) عذب مقبلها أي محل تقبيلها وهو الفم · مخلخلها : موضع الخلخال من الساق يوضع فيه الخلخال : الدعص : الرمل · مخضودة القدم : مزينته ·

(٣) الذوائب : الشعر في أعلى الجبهة الترائب : الصدور · أو ما تحت العنق · محض ضرائبها : خالصة الاخلاق ·

(٤) عبل : ضخم · المقيد : موضع الخلخال من المرأة · البض : الجسد الرقيق الجلد الممتلىء · مجردها عند تجردها ·

(٥) درم مرافقها : مستوية مرافقها : بارد الشبم : البارد يقال ماء شبم أي بارد ·

(٦) الثنايا : الرقيق · إذا يكون توالي الخ أي في هذا الوقت · شيبت : مزجت · المرهبة : الماء البارد · المرقبة : المكان العالي ·

(٧) المتلد : المال القديم ·

آبى الهضيمة نــاء بالعظيمــة مِتلافُ الكريمة جلد غير ثنيان[1]
حامي الحقيقة بسال الوَديعة معتاقِ الوَسيقــةِ لا نكسٌ ولا واني
رباء مرقبةٍ منّــاع مغلبــة وهاب سلهبةٍ قطــاعُ أقران[2]
هباط أودية حمّال ألويــــة شهادُ أنديةٍ سرحانُ فتيان[3]
يُعطيكَ ما لا تكادُ النفس تُرسله منَ التّلاد وهوب غير منّان[4]

ومثل ذلك للمحدثين أيضاً كثير ، وإنما يذهبون في هذا الباب إلى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضاً ، فإنه لا كلام أحسن من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك ، فمنه ما روى عنه عليه السلام من أنه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال « أعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة » ، وإنمــا أراد ملمة فلإتباع الكلمة أخواتها في الوزن قال لامة ، وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : خير المال سكة مأبــورة ، ومهرة مأمورة ؛ فقال مأمورة من أجل مأبورة ، والقياس مؤمرة وجاء في الحديث : « يرجعن مأزورات غير مأجورات » وإذا كان هذا مقصوداً له في الكلام المنثور فاستعماله في الشعر الموزون أقمن وأحسن .

---

(١) آبى الهضيمة : يأباها : ناء بالعظيمة : حامل لها ، الكريمة:النفيس من المال • جلد غير ثنيان : قوى متين •

(٢) الرباء : الرقيب الذي يتقدم القوم لئلا يدهمهم العدو • المرقبة : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب : السلهبة : الخيل • قطاع اقران : غالب لاقرانه وانداده •

(٣) هباط : صيغة مبالغة أودية أي كثير الهبوط فيها • الوية : جمع لواء وهي الراية التي تكون في مقدمة الجيش ، والمعنى أنك تجده في كــل مكان يدل على الشجاعة والكرم وعلو الهمة • والسرحان : الذئب •

(٤) التلاد : المال القديم يورث • منان : صاحب من على الناس •

٣ ـ نعت القوافي

أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج . وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها [١] . فإن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك . ولا يكادون يعدلون عنه . وربما صرعوا أبياتاً أخر من القصيدة بعد البيت الأول . وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره . وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر فمنه قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللّوى بين الدخول فحومل [٢]

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّلِ وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي [٣]

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت فقال :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألاَ انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثل [٤]

وقال في قصيدة أخرى أولها :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمنْ من كان في العُصر الخالي [٥]

---

(١) ويسمى هذا تصريعا ، وهو الحاق العروض بالضرب وزنا وتقفيه سواء بزيادة أو بنقصان .

(٢) قفا : خطاب للاثنين اي لصديقيه لمعاونته في بكاء الاطلال والوقوف عليها . اللوى : ما المنوى من الرمل . وسقط اللوى : منتهاه وهو مثلث السين . والدخول وحومل:مكانان يقع بينهما سقط اللوى،وفيه منزل الحبيب.

(٣) أزمع الامر وأزمع عليه اذا ثبت عزمه على امضائه . الصرم : الهجر والقطيعة الاجمال : الرفق .

(٤) أمثل : أفضل ، يذكر أن همومه وأحزانه موصولة فليس الصبح خيرا من الليل .

(٥) الا انعم صباحا : تحية الصباح في الجاهلية ، وكانوا يقولون في المساء : ألا انعم مساء ، وبالليل ظلاما ، ثم جاء الاسلام فأبطل هذا مما أبطله من الالفاظ الجاهلية ، وأبدل بدلها كلمة « السلام عليكم » .

وقال بعد بيتين :

ديارٌ لِسلمى عافياتٌ بذي الخالِ ألح عليها كلُّ أسحَم هطّال[1]

ثم قال بعد أبيات أخرى :

ألا إنَّني بالٍ على جملٍ بالي يقودُ بنا بال ويتبعُنا بـــالي [2]

وقال في قصيدة أخرى أولها :

غشيتُ ديار الحي بالبكرات فعارمةٍ فبُرقـــة العيرات [3]

ثم قال بعد بيتين :

أعني على التّهمام والذكرات يبتن على ذي الهمّ مُعتكرات[4]

وقال في قصيدة أخرى أولها :

عيناك دمعُهمـــا سجـــالْ كأنّ شأنيهمـــا أوشـــالْ [5]

وقال بعد أبيات :

قدُوب خزّانَ ذي أوْرالْ قُوتا كما تُرزقُ العيالْ[6]

---

(١) عافيات : دارسات ٠ وذوخال : موضع ، يذكر أن ديارها بليت لاستمرار سقوط المطر عليها ٠ الاسحم : الاسود ، والمراد به السحاب الكثير الماء ٠ الهطال : المطر الدائم في لين يريد أن هذه الدار تغيرت ودرست بدوام المطر عليها ٠

(٢) بال أي أنه مضني بلاه الحب ٠

(٣) غشيت : جئت ٠ البكرات : أعلام بطريق مكة ٠ عارمة : مكان ٠ برقة : البقعة التي يخالط حجارتها السود رمل ٠ العيرات : الحمر الوحشية ٠

(٤) التهمام : تفعال من الهم ٠ والذكرات : جمع ذكرة من التذكير ٠ معتكرات : منصرفات ٠ ذوالهم : أي صاحب الحزن الطويل ٠

(٥) سجال جمع سجل وهو الدلو العظيم مملوء ماء ٠ شانيهما : جانبهما أو مجاري الدموع منهما ٠ أوشال جمع وشل وهو الماء ينحدر من أعالي الجبال بكثرة ٠

(٦) الخزان : ذكور الارانب جمع خزن ٠ أورال : صاحب ورل والورل : دابة كالضب ٠

وقد سلك هذا السبيل غير امرىء القيس شعراء كثيرون فمنهم أوس [بن حجر] قال في قصيدة أولها :

ودّع لميس وداع الصّارم اللاّحي   قد نشمت في فـادٍ بعد إصلاح[1]

ثم قال :

إني أرقتُ ولم تأرقْ معي صاحِي   لمُستكين بعيد النوّم لوّاح[2]

ومنهم مرقش قال في قصيدة أولها :

أمن رسم دار ماء عينك يسفحُ   غداً من مقام أهله وتروحُوا[3]

ثم قال :

أمن بنت عجلان الخيال المطرح   ألمّ ورحلي ساقطٌ متزحزحُ[4]

وقال حسان بن ثابت قصيدة أولها :

ألم تسأل الربّع الجديد التّكلما   بمدفع أشداخٍ فبُرقـة أظلما[5]

وقال في البيت التالي لهذا :

أبى رسمُ دار الحي أن يتكلمَا   أينطقُ بالمعروف من كان أبكمَا[6]

---

(١) اللميس : المرأة اللينة الملمس .

(٢) المعنى لم تشاركني في ارقي يا صاحي .

(٣) رسم الدار : انارها : يسفح : من سفح الدمع ارسله سفحا وسفوحا ، والدمع سافح : منصب .

(٤) بنت عجلان محبوبته . الخيال : مبتدأ مؤخر . المطرح ، يروى بدله : المبرح . الشديد : التبريح .

(٥) أشداخ : واد . والمدفع : مجرى سيوله . وبرقة اظلما : موضع .

(٦) رسم الدار : انارها .

وقال الشماخ قصيدة أولها :

ألا ناديًا أظعان ليلى تعرج ... فقد هِجنَ شوقًا ليته لم يُهيَّج[1]

ثم قال بعد أبيات :

ألا أدلَجَتْ لَيلاكَ من غير مدلج ... هوًى نفسها إذ ادلجت لم تُعرج[2]

وقال عبيد بن الأبرص قصيدة أولها :

أقفـرَ من أهلِه ملْحوبُ ... فالقُطَبِّياتُ فالذَّنوبُ[3]

ثم قال بعد أبيات :

أرضُ توارثَهـا شَعوبُ ... فكلّ من حلّها مَحروبُ[4]

ثم قال بعد أبيات :

والمرء ما عاشَ في تكذيبٍ ... طولُ الحياة لهُ تعذيبُ

وقال الراعي قصيدة أولها :

أبت آياتُ حي أن تَبينَا ... لنَا خبرًا فأبكينَ الحزينا[5]

وربما أغفل بعض الشعراء التصريع في البيت الأول فأتى به

---

(١) ناديا : خطاب لرفيقيه · الاظعان : : جمع ظعينة واكثر ما تطلق على المرأة في هودجها ثم أطلق على الهودج ثم المرأة بلاهودج · تعرج : تحبس مطاياها وهو جواب لناديا · هجن شوقا : حركته · والشماخ شاعر مخضرم مجيد ـ توفي عام ٢٢ هـ ·

(٢) أدلجت من الادلاج وهو السير آخر الليل · والشماخ شاعر أموي مشهور · هوى نفسها : مفعول له · لم تعرج : لم تعطف ·

(٣) ملحوب : اسم موضع · القطبيات : ماء بعينه وجمعه بما حوله · الذنوب : اسم موضع بعينه ·

(٤) الشعوب : المنية · المحروب : المسلوب المال · وعبيد : شاعر جاهلي مشهور ·

(٥) آيات : جمع مفردها آية وهي العلامة ووزنها فعلة في قول الخليل وعند غيره أصلها فعلة بفتح الفاء والعين · والراعي : شاعر أموي مجيد ·

في بعض من القصيدة فيما بعد . قال عمرو بن أحمر الباهلي قصيدة أولها :

قــد بكرت عاذلتي بكرةً تزعم أني بالصبا مشتهــر

فلم يصرع أول القصيدة وأتى ببيتين بعد الأول ثم قال :

بل ودعيني طفل أتى بكــر فقد دنا الصبح فما انتظــر

وقال أيضاً من قصيدة أولها :

لعمركَ ما خلّفتُ إلاّ لما ترى وراء رجالٍ أسلموني لما بيا [1]

فأتى بالأول غير مصرع ثم قال بعد أبيات :

فأمسى جنابُ الشَّول أغبرَ كابيا وأمسى جناب الحي أبلجَ واريا [2]

وقال أمية بن حرثان بن الأسعر الكناني قصيدة أولهـا :

أصبحتُ هزءاً لراعي الضان أعجبه ماذا يُريبك مني راعيَ الضّان [3]

فلم يصرع أول بيت وأتى بعده ببيت واحد قال فيه :

يا بني أمّية إنّي عنكمــا غاني وما الغِنى غيرَ أنّي مُشعرٌ فاني

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية ، فكلمــا كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر .

---

(١) خلفت : تأخرت عن الرجال في الطريق .

(٢) الجناب : الناحية . الشول : الناقة التي جف لبنها وارتفع ضرعها واريا : متقدا . كابيا : من كبا لونه كمد ، وكبا تغير ، ورجل كابي اللون عليه غبرة ، والاسم من ذلك الكبوة . أبلج : مضيئا ظاهرا .

(٣) هزءا : سخرية وأضحوكة : والمعنى : مابي من الكبر والهرم جعلني أصبح سخرية لكل شخص حتى لراعي الضان .

٤ ـ باب المعاني الدال عليها الشعر

جماع الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود ، غير عادل عن الأمر المطلوب ، ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعدده ، ولم يمكن أن يؤتى على تعديد جميع ذلك ، ولا أن يبلغ آخره رأيت أن أكرمنه صدراً ينبىء عن نفسه ، ويكون مثالاً لغيره ، وعبرة لما لم أذكره ، وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء وما هم عليه أكثر حوماً ، وعليه أشد روماً ، وهو : المديح والهجاء ، والنسيب ، والمراثي ، والوصف ، والتشبيه .

وأقدم أمام كلامي في هذه الأقسام قولاً يحتاج إلى تقديمه ، وهو أني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما : الغلو في المعنى إذا شرع فيه ، والإقتصار على الحد الأوسط في ما يقال منه .

وأكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع إليه ، ويتمسك به ، ولا من اعتقاد خصمه ما يدفعه ويكون أبداً مضاداً له ، لكنهم يخبطون في ظلماء ، فمرة يعمد أحد الفريقين إلى ما كان من جنس قول خصمه فيعتمده ، ومرة يقصد ما جانس قوله في نفسه فيدفعه ، ويعتقد نقضه ..

وقد شهدت أنا من هذه ، وله سبب ، قوماً يقولون إن قول مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريحُ أسمع من بحجرٍ صليلَ البيض تقرَع بالذُّكور[1]

---

(١) صليل البيض : صوت طنين السيوف ومهلهل من قدامى الشعراء الجاهليين وهو خال امرىء القيس : الذكور:السيوف ذات الحديد اليابس. حجر : موضع وهو مكان الرياض الحالية .

خطأ ، من أجل أنه كان بين موضع الرقة التي ذكرها وبين مسافة بعيدة جداً .

وكذلك يقولون في قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أشباهَ سيفٍ قديم إثره بادي
تظل تحفر عنهُ إن ضربت بـه بعد الذراعين والساقين والهادي[1]

وكذلك في قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافُك النطف التي لم تخلق[2]

ثم رأيت هؤلاء بأعيانهم في وقت آخر يستحسنون ما يرون من طعن النابغة [3] على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله :

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعن بالضُحى وأسيافنا يقطُرن من نجدةٍ دما[4]

وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان في قوله « الغر » وكان ممكناً أن يقول البيض ، لأن الغرة بياض قليل في لون آخر غيره ، وقالوا : فلو قال « البيض » لكان أكثر من الغرة ، وفي قوله : « يلمعن بالضحى » ولو قال « بالدجى » لكان أحسن ، وفي قوله « وأسيافنا يقطرن من نجدة دما » قالوا : ولو قال « يجرين » لكان أحسن ، إذ كان الجري أكثر من القطر .

فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب في الطعن على شعر حسان غير المذهب الذي كانوا معتقدين له من الإنكار

(١) الهادي : العنق لتقدمه والجمع هواد . والنمر شاعر جاهلي مجيد .

(٢) أخفت أهل الشرك : أفزعتهم وروعتهم . النطفة : ماء الرجل جمعه نطف .

(٣) النابغة الذبياني شاعر جاهلي كبير وكان حكم الشعراء في سوق عكاظ .

(٤) الجفنات : جمع وهي القصعة تجمع أيضا على جفان . الغر : البيض . يلمعن : يشرقن . النجدة : الشجاعة .

على مهلهل والنمر وأبي نواس ، لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر الغلو ، والثاني لمن استجاده ، فإن النابغة على ما حكى عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو . بتصيير مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه . وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان ، من النابغة كان أو من غيره ، خطأ وأن حسان مصيب إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده ، وكان الرد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره .

فمن ذلك أن حساناً لم يرد بقوله « الغر » أن يجعل الجفان بيضاً ، فإذا قصر عن تصيير جميعها بيضاً نقص ما أراده لكنه أراد بقوله « الغر » المشهورات . كما يقال « يوم أغر » . « ويد غراء » وليس يراد البياض في شيء من ذلك . بل يراد الشهرة والنباهة .

وأما قول النابغة في « يلمعن بالضحى » وأنه لو قال « بالدجى » لكان أحسن من قوله « بالضحى » إذ كل شيء يلمع بالضحى ، فهذا خلاف الحق وعكس الواجب . لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء فأما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه . فمن ذلك الكواكب . وهي بارزة لنا . مقابلة لأبصارنا . دائماً تلمع بالليل . ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى . وكذلك السرج والمصابيح . ينقص نورها كلما أضحى النهار وفي الليل تلمع عيون السباع لشدة بصيصها وكذلك اليراع حتى تخال ناراً .

فأما قول النابغة أو من قال إن قوله [1] في السيوف « يجرين » خير من قوله « يقطرن » لأن الجري أكثر من

(١) أي قول حسان بن ثابت .

القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دماً ولم يسمع سيفه يجري دماً . ولعله لو قال يجرين دماً يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادة العرب بوصفه .. فلنرجع إلى ما بدأنا بذكره من الغلو والإقتصار على الحد الأوسط فأقول : إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه ، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ، ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المتقدم ذكره فهو مخطىء لأنهم وغيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم ، فإنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ، وهذا أحسن من المذهب الآخر فإن قول النابغة في معنى قول النمر [بن تولب] على مذهب الإقتصار ولزوم الحد الأوسط :

وقد أبقتْ صروفُ الدّهر منّي كما أبقت من السيف اليماني(١)

دون قول النمر [وأتى] دليلاً قوياً على أن ما بقي منه أكثر مما بقي من النابغة . وكذلك قول كعب بن مالك الأنصاري (٢) في معنى قول مهلهل (٣) ووصفه صوت الضرب (٤) .

من سرّهُ ضربٌ يُرعبل بعضُه بعضاً كمعمعة الإناء المحرق(٥)

---

(١) صروف الدهر: حدثاته ونوائبه . السيف اليماني: المنسوب الى بلدة باليمن اشتهرت بصنع السيوف .

(٢) من شعراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان هو وحسان وعبد الله بن رواحة من اشهر الشعراء المخضرمين .

(٣) مهلهل : أقدم الشعراء الجاهليين وهو الذي طول القصيدة وبدأها بالغزل .

(٤) في بيت المهلهل المشهور :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

(٥) يرعبل : في اللسان قال الجوهري من رعبات اللحم قطعته .

دون قول مهلهل لأن في قول مهلهل ما يدل على أن الضرب الذي ذكره أشد وأبلغ .

وكذلك قول الحزين الكناني في معنى قول أبي نواس[1] :

يُغضى حياء ويُغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم[2]

دون قول أبي نواس لأن هذا وإن كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته فإن في قول أبي نواس دليلاً على عمـوم المهابة ، ورسوخها في قلب الشاهد ، والغائب ، وفي قولـه « حتى إنه لتهابك » قوة لتكاد تهابك ، وكذا كل غال مفرط في الغلو إذا أتى بما يخرج عن الموجود فإنما يذهب فيه إلى تصييره مثلاً وقد أحسن أبو نواس ، حيث أتى بما ينبىء عن عظـم الشيء الذي وصفه .

وإذ قدمت ما أردت تقديمه فلنرجع إلى ذكر واحد واحد من المعاني الستة التي قلت : إنها الأعلام من أغراض الشعراء في المعاني . فأبدأ أولاً بذكر المديح ...

(أ) نعت المديح

ما أحسن ما قال عمر بن الخطاب في وصف زهير [3] حيث قال : إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فإنه في هذا القول إذا فهم وعمل به منفعة عامة ، وهي العلم بأنه إذا كان الواجب أن لا يمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم فكذا يجب أن لا يمدح شيء غيره[4] إلا بما يكون له وفيه وبما يليق به أو لا ينافره .

---

(١) أي السابق وهو قوله : وأخفت أهل الشرك حتى انه ــ البيت .

(٢) يغضى حياء : الضمير في يغضى عائد الى زين العابدين علي بن الحسين رضى الله عنهما والاغضاء : ادناء الجفون بعضها الى بعض ــ والبيت منسوب للحزين الكناني .

(٣) من اعلام الشعراء الجاهليين .

(٤) أي غير الرجل .

ومنفعة أخرى ثانية ، وهي توكيد ما قلنا في أول كلامنا في المعاني ، من أن الواجب فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول عنه إلى ما لا يشبهه .

ولما كان المدح إسماً مشتركاً لمدح الرجال وغيرهم ، عمه بالقول في مدح الرجال ، إذ كان غرض الشعراء إنما هو مدحهم إلا ما يستعملون من أوصاف النساء فإن ذلك له قسم آخر سنأتي به في ما بعد إن شاء الله تعالى [1] ، وعلمنا أن أخذنا في التعريف بجودة مدح للرجال كيف يكون ، فقد يتعلم من حواشي قولنا في هذا كيف يسلك السبيل إلى مدح غيرهم ، فنقول :

إنه لما كانت فضائل الناس ، من حيث إنهم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب ، من الإتفاق في ذلك ، إنما هي : العقل والشجاعة — والعدل — والعفة ؛ كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً ، والمادح بغيرها مخطئاً . وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه ، دون البعض ، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجود الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيغرق فيه ، ويتفنن في معانيه ، أو بالنجدة فقط ، فيعمل فيها مثل ذلك ، أو بهما ، أو يقتصر عليهما دون غيرهما ، فلا يسمى مخطئاً ، لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله ؛ لكن يسمى مقصراً عن استعمال جميع المدح ، فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال ، لا بغيرها ، والبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده من استوعبها ، ولم يقتصر على بعضها ، وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدة :

---

(١) وهو النسيب .

أخي ثقةٍ لا تُهلِكُ الخمرُ مالَه ولكنهُ قد يُهلِكُ المالَ نائلُه[1]

فوصفه في هذا البيت بالعفة ، لقلة إمعانه في اللذات ، وإنه لا ينفد ماله فيها ، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدل ثم قال :

تراهُ إذا ما جئتَه متهلّلاً كأنكَ مُعطيه الذي أنتَ سائِله[2]

فزاد في وصف السخاء بأن جعله يهش له ، ولا يلحقه مضض ، ولا تكره لفعله ، ثم قال :

فَمَن مِثل حصن في الحروب ومِثله لإنكار ضيمٍ أو لخصمٍ يُجادِله[3]

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة ، والعقل فاستوعب زهير في أبياته هذه المديح بالأربع الخصال ، التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة . وزاد في ذلك ما هـو — وإن كان داخلاً في هذه الأربع — فكثير من الناس لا يعلم وجـه دخوله فيها ، حيث قال « أخي ثقة » صفة له بالوفاء . والوفاء داخل في الفضائل التي قدمنا ذكرها .

وقد تفنن الشعراء في المديح ، بأن يصفوا حسن خلقة الإنسان ويعددوا أنواع الأربع الفضائل التي قدمنا ذكرها ، وأقسامها وأصناف تركيب بعضها مع بعض ، وما أقل من يشعر بأن ذلك داخل في الأربع الخلال على الإنفراد أو بالتركيب

---

(١) أخي ثقة : يوثق بما عنده من الخير لاشتهاره بالجود والكرم النائل : العطاء · يريد أن ماله لا يتلف بشرب الخمر انما يتلف بالعطاء والبيت من قصيدة في مدح هرم بـن سنان · وزهير من أعـلام الشعراء الجاهليين ·

(٢) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر · المعنى : أن الممدوح يسر بمن يقصده للعطاء فكأنه بهذا السرور آخذ العطاء لا معطيه للسائل ·

(٣) الضيم : الذل ·

إلا أهل الفهم ، مثل أن يذكروا من أقسام العقل ثقافة المعرفة والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والكفاية ، والصدع بالحجة ، والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك ، مما يجري هذا المجرى .

ومن أقسام العفة القناعة. وقلة الشره ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ومن أقسام الشجاعة الحماية ، والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية في العدو والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامه الموحشة ، وما أشبه ذلك .

ومن أقسام العدل السماحة ، ويرادف السماحة التغابن ، وهو من أنواعها ، والإنظلام ، والتبرع بالنائل ، وإجابة السائل وقرى الأضياف ، وما جانس ذلك .

فأما تركيب بعضها مع البعض فيحدث منه ستة أقسام :

أما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإيعاد .

وعن تركيب العقل مع السخاء فإنجاز الوعد وما أشبه ذلك

وعن تركيب العقل والعفة فالرغبة عن المسألة ، والإقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف ، والإخلاف ، وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع العفة : إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم .

وعن السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك .

وجميع هذه التركيبات قد ذكرها الشعراء في أشعارهم ، وسأذكر من جيد ما قالوه في ذلك صدراً إن شاء الله تعالى ، إلا أني أبدأ قبل ذلك فأقول :

إن كل واحدة من الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين ، وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون قوماً بالافراط في هذه الفضائل ، حتى زال الوصف إلى الطرف المذموم ، وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه ، في باب « الغلو في الشعر » من أن الذي يراد به إنما هو المبالغة والتمثيل ، لا حقيقة الشيء ..

ومن الأخبار التي يحتاج إلى ذكرها ، وشرح الحال فيها ، ليكون ذلك مثالاً يبنى الأمر عليه ، ويعلم به ما يأتي من مثله أن «كثيراً» أنشد عبد الملك بن مروان :

على ابن ابي العاصي دلاصٌ حصينة أجادَ المرىءُ نسجها وأذالها[1]
يَودُّ ضعيفُ القوم حمل قَتيرها ويَستطيعُ القرمُ الأشمُ احتمالها

فقال له عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن من قولك حيث يقول له :

وإذا تَجيء كَتيبَةٌ مَلمومَــةٌ شهباء يخشى الزّاهِدُون نهالها[2]
كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابِسٍ جُنَّة بالسَّيف تضربُ مُعلماً أبطالها[3]

---

(١) الدلاص : الدرع الملساء اللينة · أجاد المرىء : صانعها الماهر · والقتير : رؤوس مسامير الضلوع · القرم الاشم : الرجل العظيم ذو المكانة العالية · كثير شاعر أموي عذري مشهور توفي عام ١٠٥ هـ ·

(٢) الكتيبة : الجيش · أو جماعة الخيل اذا أغارت من المائـــة الى الالف · شهباء : عظيمة كثيرة ·

(٣) الجنة : بالضم كل ما وقاك ·

فقال : يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ووصف الأعشى صاحبه بالخرق .

والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظراً من كثير ، إلا أن يكون كثير غلط واعتذر بما يعتقد خلافه ، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الإقتصار على الأمر الوسط بما فيه كفاية ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة ، حيث جعل الشجاع شديد الإقدام ، بغير جنة على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له ، ولا لغيره. إلا لبس الجنة ، وقول كثير تقصير في الوصف .

فلنرجع إلى ذكر مدائح الشعراء المحسنين ، ثم نأتي بعد ذلك بصدر ، يشتمل على افتنانهم في المدح ليكون مثالاً لما تقدم الإخبار عنه ، وعبرة في اختيارات المديح .. فمن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

يَطلبُ شأوَ امرأين قدَّمَا حسناً ... نالاَ الملوكَ وبذّا هذه السُّوقا
هُوَ الجوادُ فإن يَلحق بشأوهِما ... على تكليفه فَمِثله لَحِقَا
أو يَسبقاهُ على ما كانَ من مَهل ... فَمِثلُ ما قدّما من صالحٍ سَبَقا[1]

ومن هذه القصيدة :

---

(١) الشأو : الطلق من الجري والشأو أيضا الغاية . والمراد بالمرأين أباه وجده أي يعارضهما بفعله ويسعى سعيهما في المكارم . نالا أي بأفعالهما أفعال الملوك . بذ : غلب أي أنه سبق أبواه أوساط الناس وساويا الملوك فهو يطلب سبقهما . هو الجواد : أي الممدوح بمنزلة الجواد من الخيل في مسابقة أبويه في الكرم والجود . المهل : التقدم .

من يَلْقَ يوماً على علاَّته هَرِماً يَلْقَ السَّماحةَ منهُ والنَّدَى خلُقا[1]
ليثٌ بعثّرَ يصطادُ الرجالَ إذَا ما كذَّبَ اللّيثُ عن أقرانه صدَقا
يَطعنُهم ما ارتموا حتى إذَا اطَّعَنوا ضاربَ حتى إذَا ما ضاربوا اعتنقا
فَضلُ الجواد على الخيل البطاء فلا يُعطى بذلكَ ممنونا ولا نَزَقا
هذا وليسَ كمن يعيَا بخطبته وسط النَدي إذا ما ناطقٌ نطقا[2]
لو نالَ حيّ من الدُّنيا بمكرمةٍ أفقَ السماء لنالت كفهُ الأفُقا

ومن أخرى له :

هُنالك إن يُستَخبلوا المالَ يُخبلوا وإن يُسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا[3]
وفيهم مقاماتٌ حسان وجوههم وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفعلُ[4]
فإن جئتهم ألفَيتَ حولَ بُيُوتهم مجالسَ قد يشفَى بأحلامها الجهل
على مُكثريهم حَقُّ من يَعتريهم وعندَ المُقلِّين السَّماحةُ والبذلُ[5]
سعَى بعدهم قَومٌ لِكي يُدركوهم فلم يُدركوا ولم يُليموا ولم يألوا[6]

---

(١) على علاته : على قلة ماله والمعنى أنك ان تلقه على قلة ماله تجده سمحا كريما فكيف به وهو على غير تلك الحال ٠ عثر : اسم موضع ٠ أقرانه: القرن : الصاحب في القتال ٠ والمعنى هو في الجرأة والاقدام على الاقران كالليث ٠

(٢) الندى : مجلس القوم ٠ يصف ممدوحه بأنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب ٠

(٣) الاستخبال : أن يستعير الرجل ابلا فيشرب ألبانها وينتفع باوبارها ٠ ييسروا : يغلوا أي اذ قامروا بالميسر أخذوا ثمان الجزر فيقامرون عليها لا ينحرون الا غاليه ٠

(٤) المقامات : المجالس والمراد بها أهلها ٠ الاندية : جمع ندى وهو المجلس ٠ ينتابها القول الخ : يبث فيها الجميل من القول ٠

(٥) على مكثريهم : مياسيرهم وأغنيائهم ٠ المقل : القليل المال ٠ البذل: العطاء ٠ أي يبذل الفقراء على قدر جهدهم وطاقتهم ٠

(٦) لم يليموا : لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء ٠

فما كانَ من خير أتوه فإنمـــا ... تَوارثه آباء آبائِهم قبـــل [١]
وهل يُنبتُ الخطيَّ إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النّخل [٢]

ولزهير يمدح بني الصيداء :

إنّي سترحلُ بالمَطي قَصائدي ... حتى تحلَّ على بني ورقاء [٣]
مَدحـًا لهم يتَوارثون ثَناءها ... رهن لآخرهم بطولِ بقاء
حلُماء في النَّادي إذا ما جئتَهم ... جهلاء يوم عجاجة ولِقاء [٤]
من سالموا نال الكرامة كلهـــا ... أو حاربوا ألوى مَع العَنقاء

وله :

إنَّ البخيل ملومٌ حيث كانَ ... ولكنَّ الجوادَ على علاَّته هرم [٥]
هو الجوادُ الذي يعطيكَ نائِلهُ ... عفواً ويظلمُ أحياناً فينظلـــمُ

ومن ذلك قول الحطيئة في بني بغيض :

وإنَّ التي نكبتُها عن معَاشر ... على غَضَاب أن صَدَدتُ كما صدوا
أتت آل شمَّاس بن لأي وإنّما ... أتاهم بها الأحلامُ والحسب العِدّ [٦]

---

(١) توارثه آباء ابائهم : أي مجدهم قديم ورثوه كابرا عن كابر ٠

(٢) الخطى : الرمح نسبه الى الخط وهي جزيرة بالبحرين يرفأ اليها سفن الرماح ٠ الوشيج : القنا الملتف في منبته واحدته وشيجه : أي لا تنبت القناة الا القناة ، وتغرس النخلة الا حيث تنبت ، كذلك لا يولد الكرام الا في منبت كريم ٠

(٣) ورقاء : اسم رجل ٠

(٤) عجاجة : غبار وهول وشدة ٠

(٥) علاته : ما ينوبه من قلة ذات يده ٠ هرم : اسم الممدوح ٠ عفوا : سهلا بلا مطل ولا تعب ٠ يظلم أحيانا : يطلب منه في غير موضع الطلب وفـــي غير وقته ٠

(٦) اراد المدحة التي عدل بها عن آل الزبرقان الى بغيض وقومه ٠ العد القديم ، والحطيئة ـ شاعر مخضرم مجيد توفي عام ٣٠ هـ ٠

ومنها :

يَسُوسون أحلاماً بَعيداً أناتُها ... وإن غَضِبُوا جاء الحفيظة والجدُّ
أقلوا علَيهم لا أبا لأبيكُــمُ ... من اللّوم أوسدُّوا المكان الذي سدوا
أولئكَ قَوم إن بَنَوا أحسنوا البنى ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عَقدوا اشدُّوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا الا كدَّروها ولا كدُّوا[1]
وتعذُلُني أبناء سعــدٍ عَلَيهمُ ... وما قلتُ إلاَّ بالذي عَلِمتْ سعدُ

ومن ذلك قول الأخطل :

صم عن الجهل عن قيل الخنا خرس ... وإن ألمَّت بهم مكرُوهةٌ صبروا
شمسُ العدَاوة حتى يستقاد لهم ... وأوسعُ الناس أحلاماً إذا قَدَروا[2]

ومن ذلك ما أنشدنا أحمد بن يحيى[3] :

مَيَامينُ يرضونَ السياسة إن كفوا ... ويكفَون إن سلموا بغير تكلّف
إذا صُرِّفوا للحق يوماً تصرَّفوا ... إذا الجاهل الخيرات لم يتصرف
وإن كان فيهم موسرٌ بَثَّ فَضله ... وإن كانَ فيهم معسرٌ لم يُطوَّف

وأنشدنا أيضاً :

وفِتيان صدق بَائسينَ صحبتهم ... يزيدهم هول الجَنَاب تآسيا
فإن يكُ خيراً أحسنوا أسلابَها ... وإن كان شرٌ يشركوه تحَاسيا[4]

---

(١) ويروى ان كانت النعمى عليهم ـ أي انهم ان انعموا لم يمنوا ولم يكدروا نعمتهم بالمن ولم يكدروا المنعم عليه بالثواب .

(٢) الخنا : الفحش . رجل شموس عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده جمعه شمس .

(٣) هو ثعلب امام الكوفيين في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .

(٤) السلب : ما يسلب والجمع أسلاب .

وأنشدنا :

إذا المحل أنسى العفة الناس ذببت — وحامت عن الأحساب بكر بن وائل
بهم بغض بعض الناس لكن يردهم — حياء عفاف عن دنيء المآكل

وأنشدنا :

يذكرني بشراً بكاء حمامة — على فنن من بطن بيشة مائل [1]
فتى مثل صفو الماء ليس بباخل — بخير ولا مهد ملاما لباخل
ولا ناطقاً أحدوثة السبق معجبا — بإظهارها في المجلس المتقابل [2]
ترى أهله في نعمة وهو شاحب — طوي البطن مخماص الضحى والأصائل [3]

وأنشدنا لمحمد بن زياد الحارثي :

تخالهم للحلم صماً عن الخنا — وخرساً من الفحشاء عند التهاجر [4]
ومرضى إذا لوقوا حياء وعفة — وعند الحفاظ كالليوث الخوادر [5]
لهم ذل إنصاف وأنس تواضع — ومن عزهم ذلت رقاب العشائر
أن بهم وصماً يخافون عاره — وليس بهم إلا اتقاء المعاير [6]

ثم من الشعراء الآن من يجمل المديح . فيكون ذلك باباً من

---

(١) الفنن : الغصن أو ما تشعب منه جمعه أفنان . بيشة : موضع .
(٢) الاحدوثة : ما يتحدث به الناس . السبق : ما يتسابق فيه الناس من المكارم .
(٣) الشاحب : المتغير من هزال وجوع . طوى البطن : لم يأكل شيئا . المخماص : الجائع . الضحى والاصائل : وقتان يجوع فيهما الممدوح في حين أنهما وقتان يشبع فيهما غيره .
(٤) الخنا : الفحش . التهاجر : التقاطع .
(٥) الحفاظ : الذب عن المحارم . الخوادر جمع مفرده خادر والخادر اجمة الاسد ومنه أسد خادر .
(٦) المعاير : المعايب .

أبوابه حسناً أيضاً . لبلوغه الإرادة مع خلوه عن الإطالة وبعده عن الإكثار ودخوله في باب الإختصار

فمن ذلك قول الحطيئة :

تزورُ امرءاً يعطى على الحمد مالهُ ومن يعط أثمانَ المكارم يحمدِ
يرى البُخلَ لا يبقي على المرء ماله ويعلمُ أن المالَ غيرُ مخلـد
كسوبٌ ومتلاف إذا ما سألتَه تهلّلَ واهتزَّ اهتزاز المهنَّد[1]
متى تأته تعشو إلى ضوء نـاره تجد خير نار عندها خير موقد[2]

فقد تصرف في الأبيات الأولى في أصناف المديح المتقـدم ذكرها وأتى بجماع الوصف وجملة المديح على سبيل الإختصار في البيت الأخير ومن ذلك قول الشماخ :

رأيت عرابةَ الأوسي يسمـو إلى الخيراتِ منقطع القرين[3]
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجـدٍ تلقّاهـا عُرَابةُ باليمينَ

وقد أومأ السمط بن مروان أبي حفصة في مدحه شرحبيل بن معن بن زائدة إيماء موجزاً ظريفاً . أتى على كثير من المـدح باختصار . وإشارة بديعة . فقال :

---

(١) كسوب : كثير الكسب للمال · متلاف : كثير التلف للمال · تهلل: تلألأ وجهه · اهتزاز المهند : اهتزاز السيف المشحوذ ·

(٢) تعشو : تقصد في الظلام · وعشا يعشو : اذا سار في ظلمة تسمى عشوة · وقال ابن يعيش : عشوته أي قصدته في الظلام . ثم اتسع فقيل لكل قاصد عاش ·

(٣) عرابة : هو ممدوح الشماخ · الاوسي : نسبة الى أوس · يسمو: يرتفع · منقطع القرين : عادم النظير ·

رأيتَ ابنَ معنٍ أفتنَ الناسَ جودُهُ فكلفَ قولَ الشِّعرِ من كانَ مفحَما[1]
وأرخصَ بالعدلِ السلاحَ بأرضنا فما يبلغُ السيفُ المهنّدُ درهما

ومن الشعراء أيضاً من يغرق في المدح بفضيلة واحدة أو اثنين ، فيأتي على آخر ما في كل واحدة منهما أو أكثر . وذلك إذا فعل مصيباً به الغرض في الوقوع على الفضائل ، ومقصراً عن المدح الجامع لها ؛ لكنه يجود المديح حينئذ كلما أغرق في أوصاف الفضيلة ، وأتى بجميع خواصها أو أكثرها . وذلك مثل في الجرأة والإقدام ، كما قال الفرزدق لسالم الغداني ، حين قتل قاتل أخيه ، العائذ بجوار عبد الملك :

إذا كنتَ في دارٍ تخاف بها الرَّدَى فصمِّم كتصميم الغداني سالمِ[2]
سخا طلباً للوتر نفساً بموتـه فمات كريماً عائفاً للملايمِ[3]
نقي ثياب الذِّكرِ من دنس الخنا يُناجي ضميراً مستدفَّ العزائمِ[4]
إذا هم أقرى ما به هم ماضيا على الهول طلاَّعاً ثنايا العظائم
ولما رأى السلطانَ لاَ ينفعونَـه قضى بين أيديهم بأبيضَ صارم

وقد ينبغي أن يعلم أن مدائح الرجال ، وهي التي صمدنا للكلام في هذا الباب ، تنقسم أقساماً بحسب الممدوحين من أصناف الناس ، في الإرتفاع والإرتضاع ، وضروب الصناعات ، والتبدي

---

(١) المفحم : من لا يقدر أن يقول شعرا ٠ والمعنى ان ممدوحه قد بلـغ من كثرة جوده وكرمه على مادحيه أن كلف بقول الشعر من هو عاجز عـن قوله ٠ وبلغ من عدله ان رخص ثمن السلاح لعدم الاحتياج اليه ٠

(٢) رجل من بني غدانة بن يربوع قتل أخوه وكان لقاتله ناحية في السلطان فشد عليه فقتله ٠

(٣) سخى : كرم وبذل المال ٠ والعائف ٠ الكاره ٠

(٤) استدفاف الامر : تهيؤه ٠

والتحضر . وأنه يحتاج إلى الوقوف على المعين بمدح كل قسم من هذه الأقسام :

فأما إصابة الوجه في مدح الملوك فمثل قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاكَ سورةً ترى كل ملك دونها يتذبذب[1]
فإنك شمسٌ والملـوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكب

ومثل ذلك قول نصيب في سليمان بن عبد الملك :

أقول لركبٍ قافلين لقيتهـم قفا ذات أوشالٍ ومولاك قارب[2]

القفا : الثنية وهي العقبة . والعرب تقول لقيت فلاناً قفا الثنية أي خلف الثنية :

قفوا خبّروني عن سليمان إنّني لمعروفه من أهل ودّان طالـبُ
فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهلـه ولو سكتوا أثنت عليكَ الحقائبُ
هو البدر والناس الكواكب حولَـه وهل يشبه البدرَ المنير الكواكب

ومثل قول الحزين الكناني في عبدالله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه وهو عامل مصر :

لما وقفت عليه في الجموع ضحىً وقد تعرّضت الحجّاب والخدم[3]
حييته بسلام وهو مرتفـقٌ وضجّة القوم عند الباب تزدحم

---

(١) السورة : القوة والسلطان . والملك بسكون اللام الملك بتحريكها .
(٢) قفا بفتح القاف : وراء . الاوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . ذات أوشال : موضع . قارب : طالب الماء ليلا ولا يقال ذلك لطالب الماء نهارا . وفي التهذيب : القارب : الذي يطلب الماء ولم يعين وقتا . ويريد بالمولى نفسه . والخطاب للخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك . ونصيب : شاعر أموي مشهور .
(٣) نسبت هذه القصيدة للفرزدق يمدح علي بن زين العابدين بن الحسين حين سأل عنه هشام بن عبد الملك .

في كفّه خيزران ريحهـا عبقٌ — في كف أروع في عرنينه شمم[1]
يغضى حياء ويغضى من مهابتـه — فما يكلَّـمُ إلا حين يبتسم
كلتا يديه ربيع غير ذي خلـفٍ — هذي خروج وهذي عارض هِمَم[2]

ومثل قول أبي العتاهية في الهادي [3] :

يضطرب الخوف والرّجـاء إذا — حرّك موسى القضيبَ أو فكّرا

فأما مدح ذوي الصناعات ، كأن يمدح الوزير والكتاب بما يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة ، فإن انضاف إلى ذلك الوصف السرعة في إصابة الحزم ، والإستغناء بحضـور الذهن عن الإبطاء لطلب الإصابة كان أحسن وأكمل للمدح كما قال أشجع [4] :

بديهته مثـلُ تفكيرهِ — متى رمته فهوَ مستجمعُ

وكما قال منصور النمري [5] :

وليس لأعباء الأمور إذا اعترتْ — بمكترثٍ لكن لهـنّ صبور
يرى ساكن الأوصال باسطَ وجههِ — يريك الهوينا والأمور تطير[6]

---

(١) الخيزران : العود اللـدن ، يـريد أن العصا التي يمسكها طيبة الرائحة لانها تستمد طيبها من طيب كفه . الاروع : مـن يعجبك بحسنه وشجاعته . عرنينه : أنفه . شمم : ارتفاع وحسن وهو من علامات السيد الشريف .

(٢) ربيع ، ويروى : غياث : أي نجدة : ومعونة . غير ذي خلف : يروى ايضا عم نفعهما .

(٣) ابو العتاهة شاعر عباسي مشهور اشتهر بزهدياته توفي عام ٢١١هـ. والهادي خليفة عباسي ملك عاما واحدا (١٦٩ ـ ١٧٠ هـ) .

(٤) أشجع السلمي شاعر عباسي مشهور من شعراء عصر الرشيد .

(٥) من شعراء عصر الرشيد والمأمون .

(٦) الاوصال : المفاصل أو مجتمع الاعظام جمع وصل بكسر الواو وضمها .

وأما مدح القائد في ما يجانس البأس والنجدة ويدخل في باب شدة البطش والبسالة فإن أضيف إلى ذلك المدح الجود والسماحة والتخرق في البذل والعطية كان المديح حسناً والنعت تاماً. إذا كان السخاء أخا الشجاعة . وكان في أكثر الأمور موجودين في بعداء الهمم . وأهل الإقدام والصولة . وذلك كما قال بعض الشعراء في جمع البأس والجود :

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطرُ [1]
فلا من بغاة الخير في عينه قذًى ... ولا من زئير الحرب في أذنه وقر [2]

وكما قال منصور النمري في إفراده ذكر البأس وحده :

ترى الخيل يوم الحرب يظمأن تحته ... وتروى القنا في كفه والمناصل [3]
حلالٌ لاطرادَ الأسنّة نحرها ... حرامٌ عليها متنها والكواهل [4]

وكما قال بشّار بن برد :

ألا أيها الحاسدُ المبتغي ... نجومَ السّماء بسعي أمم [5]
سمعتَ بمكرمة ابنِ العلاء ... فأنشأت تطلبها لست ثَم [6]
إذا عرض اللهوُ في صدره ... لها بالعطاء وضربِ البُهم [7]

---

(١) البأس : الشدة في الحرب ـ والبيت لابي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

(٢) بغاة الخير : البغاة جمع مفرد باغي وهو الطالب . الزئير : الصوت . الوقر : ثقل في الاذن يسبب عدم السمع ومنه قوله تعالى (كأن لم يسمعها كان في أذنيه وقرا) ، أي ثقلا .

(٣) القنا : الرمح . والمناصل السيوف .

(٤) متنها المتن . الظهر . الكواهل : جمع كاهل وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الاعلى فيه .

(٥) الامم محركة : القرب .

(٦) ثم : اسم يشار به بمعنى هناك للمكان البعيد ظرف لا يتصرف ، والمعنى أنك بعيد عنها ولست أهلا لها .

(٧) البهم : الرجل الشجاع .

يلذ العطاء وسفك الدماء ويغدو على نعم أو نِقَمْ
فقل للخليفة إن جئته نصوحاً ولا خير في متّهم
إذا أيقظتك حروب العدى فنبه لها عمراً ثمّ نَمْ
فتى لا ينامُ على ثأره ولا يشربُ الماء إلا بدم[1]

وأما مدح السوقة من البدو والحاضرة فينقسم قسمين : بحسب انقسام السوقة : إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب وإلى الصعاليك والحراب والمتلصصة ومن جرى مجراهم . فمدح القسم الأول يكون بما يضاهي الفضائل النفسانية التي قدمنا ذكرها خالياً من مدح الملوك ومن قدمنا ذكره من الوزراء والقواد . وذلك مثل قول الشاعر :

يتراحمون ، ذوو يسارهمُ يتعاطفون على ذوي الفقر
وذوو يسارهم كأنهم من صدق عفتهم ذوو وعر[2]
متحملين لطيب خيمهم لا يهلعون لنبوة الدّهر[3]

ومدح القسم[4] الثاني يكون بما يضاهي المذهب الذي يسلكه أهله من الإقدام والفتك والتشمير والجد والتيقظ والصبر مع التخرق والسماحة وقلة الإكتراث للخطوب الملمة كما قال تأبط شراً يمدح صخر بن مالك[5] :

وإني لمهد من ثنائي فقاصدٌ به لابن عم الصدق صخر بن مالك[6]

---

(١) كناية عن كثرة حروبه وشدة بأسه .
(٢) ذوو وعر : مالهم قليل ، ويقال الرجل وقع في وعر أي قل ماله .
(٣) الخيم الشيمة والخلق والسجية ، وقيل الخيم الاصل : نبوة الدهر: جفوته .
(٤) وهم الصعاليك ومن في حكمهم .
(٥) تأبط شرا : من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .
(٦) مهد : من أهديت . لابن عم الصدق : متعلق بمهد . والمهدى محذوف لعلم السامع به أي ثناء أو قصيده .

أهزُّ به في ندوة الحي عطفــه كما هزَّ عطفي بالهجان الأوارك[1]

لطيفُ الحوايا يقسمُ الزّاد بينه سواءٌ وبين الذئب قسم المشارك[2]

كأنّ به في البرد أثناء حيــة بعيدُ الخطى شتّى الهوى والمسالك[3]

يظلُّ بمومــاة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المعارك[4]

ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي بمنخرق مِن شده المتدارك[5]

إذا خاطَ عينيه كرى النوم لم يزل له كالىءٌ من قلب شيحان فاتك[6]

وإن طلعت أولى العــداة فنفرةٌ إلى سلة من صارم الغرب باتك[7]

إذا هزّهُ في وجه قرن تهلــلتْ نواجذُه أفواه المنايا الضّواحك[8]

وقال أبو كبير الهزلي :

ولقد سريتُ على الظــلام بمغشمٍ جلدٍ منَ الفتيان غير مُثقل[9]

---

(١) الندوة : النادي · عطفه : عطف كل شيء جانبه ، وقيل العنق كما في قوله تعالى « ثاني عطفه » أي عنقه ، وقيل خصره · الهجان الاوراك : التي ترعى الاراك وهو نوع من الشجر ·

(٢) الحوايا : أي الامعاء ·

(٣) شتى : المتفرق وتشتت الشيء تفرقه والاشتات جمع شت · المسالك: الطرق ويروى البيت برواية أخرى هي :

قليل التشكــي للمهــم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

(٤) الموماة : المفازة التي لا ماء فيها وجمعها موام · جحيشا : وحيدا · أي منفردا · ويعروري ظهور المعارك : أي يركبها ويروى ظهور ·

(٥) وقد الريح : أولها · المنخرق : السريع · المتدارك : المتلاحق ·

(٦) الكرى : النوم الخفيف واضافة الكرى الى النوم كما يضاف البعض الى الجنس · شيحان : حازم · الفاتك : هو الذي يفاجيء غيره بمكروه ·

(٧) العداة · الرجالة يعدون أمام الخيل : الباتك القاطع ·

(٨) في وجه قرن ويروى في عظم قرن أي لا يتعرض له الا من يقارنه بأسا وشدة · تهللت نواجذه ، مجاز ، والهلل : الضحك شبه بتهلل البرق ولمعــانــه ·

(٩) على الظلام أي وقت الظلام · المغشم : من الغشم وهو الظلمة · الجلد : الصلب القوي · غير مثقل : حسن القبول ·

مِمَّنْ حملن به وهُنَّ عواقــدٌ	حُبُكَ النِّطاق فشبَّ غير مُهبَّلِ [1]
حملت بــه في ليلة مزؤودَةٍ	كُرهاً وعقدُ نطاقها لم يحللِ [2]
فأتت به حوشَ الفؤاد مبطنــاً	سهداً إذا ما نام ليلُ الهوجلِ [3]
ومبرأً من كل غُبَّرِ حيضــة	وفسادِ مُرْضِعة وداءٍ مغيلِ [4]
ما أن يمسُّ الأرض إلا منكــبٌ	منه وحرفُ الساقِ طيءَ المحملِ [5]
وإذا انتبهت من المنام رأيتــه	كرسوب كعب الساق ليس بزملِ [6]
فإذا طرحت له الحصاة رأيتــه	ينزو لوقتها نزوَّ الأخيــلِ [7]
وإذا رميت به الفجاجَ رأيتــه	ينضو مخارمهــا هويَّ الأجدلِ [8]
وإذا نظرت إلى أسرة وجهــهِ	برقت كبرق العارض المتهللِ [9]

(١) ممــن حملــن : الضمير للنساء ٠ حبــك النطــاق ٠ المــراد به حبك الثياب لان النطاق لا يكون له حبك ٠ والحبك واحدها حبيك ٠ والمعنى أنه من الفتيان الذين حملت أمهاتهم بهم وهن غير مستعدات للفراش ٠

(٢) مزؤدة ٠ من الزؤد : الذعر ٠ كرها : كارهة ٠ النطاق ما تنتطق به المرأة تشد به وسطها للعمل وذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر ٠ والمعنى انها أكرهت ولم يحل نطاقها ٠

(٣) حوش الفؤاد : وحشيه لحدته وتوقده ، ورجل حوشي لا يخالط الناس وليل حوشي مظلم هائل : مبطن : خميص البطن الهوجل : الثقيل الكسلان وقيل الاحمق ٠

(٤) غبر الحيض : بقاياه ويروى مبرأ بالنصب ومبرىء بالجر فالنصب عطف على غير مهبل والجر عطف على قوله جلد من الفتيان ٠ وفساد مرضعة: أضاف الفساد الى المرضعة لانه أراد الفساد الذي يكون من جهتها مغيل : المغيل من الغيل وهو أنه نغشى المرأة وهي ترضع بذلك اللبن الغيل : ويروى وداء معضل وهو الذي لا دواء له كأنه أعضل الاطباء ٠

(٥) المحمل : حمالة السيف ٠

(٦) واذا انتبهت من المنام ، يروى : واذا يهب من المنام ، والمعنى : اذا استيقظ من نومه انتصب انتصاب كعب الساق ٠٠

(٧) طرحت ٠ نبذت ٠ رأيته : جواب اذا رأيته ٠ نزو الاخيل ويروى طمور الاخيل ، والطمور : الوثوب ٠

(٨) الفج : الطريق الواسع في الجبل ونحوه والجمع فجاج ٠ المخارم: جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ٠ والخرم : انف المجمل الاجدل : الصقر٠

(٩) الاسرة : جمع صرار وهي الخيوط التي في الوجه العارض : من السحاب الذي يعرض في جانب السماء ٠ والمعنى يصفه بحسن الطلعة وطلاقة الوجه ٠

نحمي الصحاب إذا تكون كريهةٌ وإذا همُ أزموا فمأوى العُيَّل[1]

ثم نعقب الكلام في المديح بالكلام في الهجاء .

٢ ـ نعت الهجاء

إنه قد سهل السبيل إلى معرفة وجه الهجاء وطريقه ما قدم في قولنا في باب المديح وأسبابه ، إذ كان الهجاء ضد المديح فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها ، فمن الهجاء المقذع الموجع ما أنشدناه أحمد بن يحيى :

كاثر بسعدٍ إنَّ سعداً كثيرةٌ ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصرا[2]
ولا تَدْعُ سعداً للقراع وخلّها إذا أمنت من روعها البلد القفرا[3]
يروعك من سعد بن عمرو جسومها وتزهدُ فيها حين تقتلها خبرا

فمن إصابة المعنى في هذا الهجاء أن هذا الشاعر سلم لهؤلاء القوم أمرين يظن أنهما فضيلتان ، وليستا بحسب ما وصفناه من الفضائل فضيلتين ، وهما : كثرة العدد وعظم الخلق ، وغزا بذلك مغازي دلت على حذقه في الشعر :

فمنها : أن أدخل لهم هجاء في باب الأقوال الصادقة لإعطائه إياهم شيئاً ومنعه لهم شيئاً آخر وقصده بذلك أن يظن أن قوله فيهم إنما هو على سبيل الصدق وذكره إياهم بما فيهم من جيد ورديء .

---

(١) العيل جمع عائل : وهو الفقير .

(٢) الكاثر : الكثير وعدد كاثر كثير ، يقول الاعشى :

ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر

(٣) القراع : القتال . خبراً : اختبارا . خبره بالضم وخبرة بالكسر: بلاء .

ومنها : ما بان من معرفته بالفضائل حتى يميز صحيحها من باطلها فسلم الباطلة ومنع الصحيحة .

ومنها : أنه قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذر به الكرام من قلة العدد ، فإن الكرام أبداً فيهم قلة ، كما قال السموأل :

تعيرني أنّا قليلٌ عديدنـــا   فقلت لها إن الكرام قليلُ[1]

ومن خبيث الهجاء ما أنشدناه أحمد بن يحيى أيضاً :

إن يغـــدروا أو يفجُروا أو يبخلـــوا لا يحفلـــوا
يغـــدُوا عليـــك مُرجّلين كأنّهم لم يفعلوا

فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر به تعمد أضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم لأن الغدر ضد الوفاء والفجور ضد الصدق والبخل ضد الجود ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل حيث قال : وغدو عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا ، لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقحة التي هي من عمى القوة المثيرة كما قال جالينوس في كتابه في أخلاق النفس .

ولزياد الأعجم في غياض بن حصين بن المنذر :

وسميتَ غيّاضاً ولستَ بغائظٍ   عدواً ولكن للصديقِ تغيظ
عدوُّكَ مسرورٌ وذو الردِّ للذي   يرى بكَ من غيظٍ عليكَ كظيظ[2]
تسمي لما أوليت من صالحٍ مضى   وأنتَ لتعدادِ الذّنوبِ حفيظ

---

(١) تعيرنا : يقال عيرته كذا وهو المختار • وقد جاء عيرته بكذا • ان الكرام قليل : نعم ان الكرام قليل ولهذا نجد أن الموت يعتامهم وولوع الدهر بهم وتضحيتهم في الدفاع عن أحسابهم واهانة كرائم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم •

(٢) كظيظ : المغتاظ أشد الغيظ •

تلينُ لأهلِ الغِلِ والغدرِ منهمُ وأنتَ على أهلِ الصَّفاءِ فظيظُ[1]

ومن الهجاء أيضاً ما تجمل المعاني كما يفعل في المدح ، فيكون ذلك حسناً إذا أصيب به الغرض المقصود ، مع الإيجاز في اللفظ وذلك مثل قول العباس بن يزيد الكندي في مهاجاته جريراً ، ومعارضته إياه ، في قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميـمٍ حسبتَ الناس كلّهم غِضابا
لو اطلّعَ الغرابُ على تميـمٍ وما فيها منَ السوءاتِ شابا[2]

ومثل قول مرة بن عداء الفقعسي :

وإذا تسرُّكَ من تميمٍ خصلـةٌ فلما يسوءكَ من تميمٍ أكثرُ

وقول الآخر :

ويقضى الأمرُ حينَ تغيب تميمَ ولا يستأذنونَ وهمُ شهودُ

وللحكم الحضري :

ألم تر أنّهم رقِموا بلـؤمٍ كما رقِمت بأذرُعها الحميرُ[3]

ومثل قول أعشى باهلة :

بنو تَيم قرارة كـلُّ لـؤم لكل مصب سائلة قـرار[4]

وقد تبع أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الأعشى في هذا المعنى فقال :

---

(١) الغمر : الكريم الواسع الخلق . فظيظ : سيء الخلق . الغل:الحقد .
(٢) السوأة : الفاحشة والخلة القبيحة .
(٣) رقموا بلؤم : أي عرفوا وتميزوا به كما تخطط الحمير بالكي بالنار وبذلك تعرف بهذا الكي .
(٤) القرارة : ما يقر فيه .

أضحوا بمستن سيل اللؤم وارتفعت أموالهم في هضابِ المطل والعلل[1]

ومثل قول الآخر :

لو كان يخفَى على الرّحمن خافيةٌ من خلقه خفيت عنهُ بنو أسدِ

ومثل قول الآخر :

قومٌ إذا ما جنى جانيهمُ أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قَوداً[2]

ومثل قول زياد الأعجم :

إنّي لأكرمُ نفسي أن أكلّفها هِجاء جرمٍ ولما يهجم أحد[3]
ماذا يقول لهم من كان هاجيهم لا يبلغُ الناسَ ما فيهم وإن جهدوا

ومثل قول أوس بن معزاة :

فلست بعافٍ عن شتيمة عامـــرٍ ولا حابسي عما أقولُ وعيدُها[4]
ترى اللؤم ما عاشوا جديداً عليهمُ وأبقى ثيـــاب اللابسين جديدها
لعمرك ما تبلى سرابيلُ عامـــر من اللؤم ما دامت عليها جلودها

هذه الأبيات قالها أوس وهو يهاجي النابغة الجعدي ، فيقال إن النابغة كان يقول إني وأوساً نبتدر بيتاً فمن قاله غلب على صاحبه فلما قال أوس البيت الأخير قال هذا هو البيت الذي كنا نبتدره فغلب أوس عليه .

ومثل قول عباس بن مرداس السلمي في سفيان بن عبد يغوث النصري :

وأوعد وقلْ ما شئت إنك جاهلٌ على أما أنت امرؤٌ من بني نصر

---

(١) المعنى أن أموالهم متحصنة بحيث لا يراها السائلون .
(٢) القود : القصاص .
(٣) جرم : بطن من بطون طيء أو هي بطن من بطون قضاعة . جهدوا: بلغوا نهاية طاقتهم ووسعهم في الهجاء . زياد : شاعر أموي مشهور توفي عام ١٢٠ هـ .
(٤) عامر : هي قبيلة النابغة الجعدي .

وما أجود ما قال الفرزدق في عبدالله بن عمير الليثي حيث هرب من أبي فديك الخارجي وكان يتمنى لقاء الخوارج .

تَمنَّيْتَهم حتى إذا مـا رأيتهم   تركتَ لهم عند الجلادِ السّرادقا[1]
وأعطيتَ ما تعطي الحليلة بعلها   وكنت حبارى إذ رأيت البوارقا[2]

وفي قوله « ما تعطي الحليلة بعلها » مع إيجازه عجائب ، وكذلك في قوله « حبارى » .

ومنهم من يفرط في ذكر نقيصة واحدة كما يغلو عند المدح في فضيلة واحدة ، فمن ذلك للحطيئة يغرق في ذكر البخل وحده :

كددت بأظفاري وأعملت معولي   فصادفتُ جلموداً من الصَّخر أملسا[3]
تشاغلَ لما جئتُ في وجه حاجتي   وأطرق حتى قلت قد مات أو عسى
وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيتـه   يفوق فُواق الموت حتى تنفسا[4]
فقلت له لا بأس لست بعائدٍ   فأفرخ تعلوه السَّمادير ملبسا[5]

ولجرير في ذكر العجز وحده :

ولا يتقون الشرَّ حتى يصيبهم   ولا يعرفون الأمر إلا من النذر[6]

ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه فيجري أمر الهجاء بحسبها في المراتب والدرجات والأقسام ، ويلزم ضد المعنى الذي يدل عليه إذ كان المديح ضد الهجاء ولنتبع القول في الهجاء بالقول في المراثي .

---

(١) الجلاد : القتال . السرادق : الذي يمد فوق صحن البيت .
(٢) الحبارى : طائر للذكر والانثى . البوارق : السيوف .
(٣) كددت : اجتهدت . معولي : فأسي .
(٤) يفوق فوقا : يحرج صوته .
(٥) فأفرخ : هدأ وسكن روعه . السمادير : ضعف البصر .
(٦) النذر : النحب والارش جمعه نذور والنذر لا تكون الا في الحراح صغارها وكبارها .

ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك ، مثل : كان ، وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك [١] . وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه ، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان كان يمدح في حياته ، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها ، وهو أن يكون الحي مثـلا يوصف بالجود ، فلا يقال كان جواداً ولكن يقال ذهب الجود أو فمن للجود بعده أو ليس الجود مستعملاً مذ تولى ، وما أشبه هذه الأشياء ، كما قالت ليلى الأخيلية [٢] ترثي توبة [٣] بن الحمير بالنجدة على هذه السبيل :

فليس رجالُ الحرب يأتون بعدها بعارٍ ولا غادٍ بركب مسافـر

ومن الشعر من يرثي بذكر بكاء الأشياء التي كان الميت يزاولها ، وغير ذلك ، ومثله يحتاج إلى تعلم صحة هذا المعنى ، في مثل ما تكلم به في مثل هذه الأشياء ، فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال في كـل شيء تركه الميت بأنه يبكي عليه ، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكـى عليه لكان سيئة وعيباً لاحقين له .

فمن ذلك مثلاً إن قال قائل في ميت : بكت الخيل إذ لم تجد لها فارساً مثلك كان مخطئاً ، لأن من شأن ما كان يوصف في حياتـه بكده إياه أن يذكر اغتباطه بموته [٤] وما كان في حياته يوصـف بالإحسان إليه أن يذكر اغتمامه بوفاته ، ومن ذلك إحسان الخنساء في

---

(١) هذا خطأ من قدامة فالتجربة الشعرية في الرثاء غيرها في المدح ·

(٢) شاعرة أموية مشهورة توفيت عام ٨٠ هـ ·

(٣) توبة الخفاجي شاعر أموي توفي عام ٦٧ هـ ·

(٤) ليس ذلك ضربا لازبا في كل حال ·

مرثيتها صخراً وإصابتها المعنى ، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس بموته :

فقد فقدتك حذفة فاستراحت ... فليت الخيلَ فارسُها يراها[1]

ولو قالت : فقدتك حذفة فبكت ، لأخطأت ، وبكاء من يجب أن يبكي على الميت إنما هو من كان يوصف إذا وصف في حياتـه بإغاثته والإحسان إليه كما قال كعب بن سعد الغنوي في مرثية أخيه :

ليبكك شيخٌ لم يجد من يُعينه ... وطاوي الحشا نائي المزار غريب[2]

وكما قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي :

ليبكك الشّرب والمدامـــة ... والفتيان طرأً وطامعٌ طمعا[3]
وذات هدم عـــار نواشرُهـــا ... تصمتُ بالماء تولبـــا جدعا[4]
والحي إذ حاذروا الصباحَ وإذ ... خافوا مغيرا وسائراً تلعا[5]

فيجب أن يتفقد مثل هذا في إصابة الغرض والإنحراف عنه .

وإذا قد تبين بما قلنا آنفاً أنه لا فضل بين المديح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى ، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يجـــري

---

(١) حذفة : اسم فرس صخر : والمعنى ليتك ترى الآن ما صارت اليه فرسك من الراحة والقوة والسمن لانها استراحت من غزو صخر عليها ٠

(٢) الحشا : ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وغيره ٠ والمعنى: طاوى الحشا من شدة الجوع ٠ نائي المزار : بعيده ٠

(٣) الشراب : بالفتح جماعة الشاربين٠ المدامة: الخمر٠ طرا:جميعا٠

(٤) ذات هدم : أي خلق بالية ٠ عار نواشرها : اذرعها عارية ٠ التولب: ولد الجحش الصغير ٠ جدعا : سيء الغذاء ٠

(٥) حاذروا الصباح : خافوا من مجيئه لانه وقت اغارة وحرب وهم قد فقدوا شجاعهم والمدافع عنهم ٠ تلعا : طويل الظهر أو العنق ٠

الأمر فيه على سبيل المديح [1] . فمن المراثي التي تشبه في المديح استيعاب الفضائل التي قدمنا ذكرها ، والأبيات عليها مثل قول كعب ابن سعد الغنوي يرثي أخاه :

لَعَمري لَئِنْ كانت أصابتْ مُصيبة ... أخي والمنايا للرجالِ شَعُوب
لقد كان أمّا حلمه فمروّح ... علينا وأمّا جَهلُهُ فَغريب
أخي ما أخي لا فاحشٌ عِندَ بيتهِ ... ولا ورعٌ عِندَ اللّقاء هيوب [2]

فقد أتى في هذه الأبيات بما وجب أن يأتي به في المراثي ، إذ أصاب بها المعنى ، وجرت على الواجب ، أما في البيت الأول فتذكر ما يدل على أن الشعر مرثية لهالك لا مديح لباق ، وأما في الأبيات الأخرى [فقد بكى فيه الصفات] الأربع التي هي العقل والشجاعة والعفة والحلم ثم افتن كعب في هذه المرثية بعد ذلك وزاد في وصف بعض الفضائل ما لم يخرج به عن استقامة ، وهو قوله :

حليم إذا ما سورَة الجهل أطلقت ... حبَا الشيْبِ للنفسِ اللّجوجِ غلوبُ [3]
كعاليةِ الرُّمح الرُّدينيّ لم يكن ... إذ ابتدرَ القومُ العَلاء يَخيبُ [4]
فإني لباكيه وإني لصادِق ... عليهِ وبعضُ القائلين كذوب
ليبكِكَ شيخٌ لم يجد من يُعينه ... وطاوي الحشا نائي المزارِ غريب
جموعُ خلالِ الخيرِ من كل جانب ... إذا جاء جَيّاءٌ بهنّ ذهوب [5]
فتىً لا يبالي أن يكونَ لجسمه ... إذا نالَ خلاّتِ الكرامِ شحوبُ
حليمٌ إذا ما الحلمُ زينٌ لأهلهِ ... مع الحلم في عين العدُو مهيب

---

(١) هذا خطأ من أساسه ، فالفرق كبير جدا بين المدح والرثاء .
(٢) هيوب : محاذر كثير الخوف والاحجام .
(٣) سورة الجهل : شدته . اللجوج : المترددة المتمادية في ما هي عليه.
(٤) عالية الرمح : أعلاه .
(٥) جموع خلال الخير : مسرع اليه . جياء : كثير المجيء .

إذا ما تراءاهُ الرجالُ تحفَّظوا فلم ينطقوا العوراء وهو قريب[1]

ومثل قول أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي بجميع الفضائل التي ذكرناها إلا العفة وحدها ، فإنه ترك ذكرها ، إلا أنه في بعض القصيدة وصفه بالكمال ، وفي الكمال كل فضيلة من العفة وغيرها .

أبا دُلَيجةَ من يكفي العشيرةَ إذ أمسوا منَ الخطب في نار وبلبال[2]
أم من يكون خطيبَ القوم إذ حفلوا لدى الملوكِ ذوي أيدٍ وإفضال
أم من لأهل لواء في مُسكَّعةٍ من حقّهم لبسوا حقاً بأبطال[3]
أم من لحيٍ أضاعوا بعدَ أمرهم بينَ القسوط وبين الدين زلزال[4]
فرّجتَ غمّتهم وكنتَ مُعينهم حتى استقرَّت نواهم بعد تِزْوال[5]

فقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس العقل والرأي واللسان ونحو ذلك ، وقال :

أبا دُليجةَ من يوصي بأرملةٍ أم من لأشعث ذي طمرين طملال[6]
وما خليجٌ منَ المرازِ ذو حدب يرى الضرير بخشب الأيك والضال[7]
يوماً بأجود منه حين تسألـه ولا مُغبٌ ببرح بينَ أشبـال[8]

(١) التحفظ : قلة الغفلة في الامور والتيقظ من القطة كأنه لى حذر .
(٢) البلبال : شدة الهم والوساوس .
(٣) المسكعة : المضلة من الارضين لا يهتدي فيها لوجه الامر. لبسوا: خلطوا .
(٤) القسوط : الجور والعدول عن الحق .
(٥) نواهم : اقامتهم .
(٦) الطمر : بالكسر الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف جمعه أطمار . الطملال : العاري من الثياب والفقير السيء الحال القبيح الهيئة .
(٧) الايك : الشجر الملتف الكثير . الضال : نوع من الشجر أو الدر البري .
(٨) المغب : الاسد . البرح : الشدة والشر . الاشبال : جمع مفرده شبل وهو ولد الاسد اذا أدرك الصيد .

لَيثٌ عليهِ من البرديِّ هِبريـــةٌ   كالمرزبانيِّ عيّـــارٌ بأوصالِ[1]
يوما بأجرأ منه جـــدٍّ بادرةً   على كمي بمهـــدِ الحد فصَّال

وقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس البذل والجود والسماحـــة والشجاعة ولم يذكر العفة ، إلا أنه قال في أول القصيدة :

أم حَصانٌ فلم تضرب بكاتها   قد طفت في كل هذا الناس أحوالي
أي امرىء سوقة ممّن سمعت به   أندي وأكملِ منهُ أي إكمال

وقال أوس [بن حجر] يرثي فضالة :

أيَّتها النفسُ أجمـــلي جزَعاً   إنَّ الذي تحذَرينَ قد وقَعـــا
إن الذي جمعَ السّماحـــةَ   والنجدةَ والباسَ والنَّدى جُمعا
الألمعي الـــذي يظنُّ بـــكَ   الظنَّ كأن قد رأى وقد سمعا[2]

فقد جمع في هذه المرثية جميع الفضائل ووضع الشيء من ذلك مواضعه .

ومن المراثي التي تشبه في المديح اقتضاب المعاني واختصار الألفاظ ما قاله أوس في قصيدته يرثي فضالة التي أولها :

ألم تكسف الشمسُ شمسُ النهـــار معَ النجم والقمرِ الواجبِ
لهلك فضـــالةَ لا تستـــوي   الفَقود ولا خلَّـــة الذاهبِ
وأفضلتَ في كل شيء فما   يقاربُ سعيكَ من طالـــبِ

---

(١) الهبرية ما يتناثر من البردى فيبقى في شعره متلبدا · عيار : هو الذي يذهب بأوصال الرجال الى أجمته ·

(٢) الالمعي : قال صاحب اللسان هو الداهية الذي يتظنن الامور فـلا يخطيء · وقيل : هو الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب ، وقال الازهري : الالمعي : الخفيف الظريف ·

نجيحٌ مليحٌ أخو مأقط ... ثقاب يحدثُ بالغائبِ[1]
ويكفي المَقالة أهل الرجال ... غيرَ معيب ولا عائبِ

وليس ينبغي للناظر أن يظن خطأ في وضع مليح موضع المدح بالفضائل النفسية ، لأن مليحاً في هذا الموضع ليس هو من قولهم « قريش ملح الناس » أي يستشفي بهم ، والذي يشهد بصحته قوله ثقاب يحدث بالغائب لأن هذا من جنس الرأي والحدث .

وقال الشماخ في عمر بن الخطاب :

فَمن يسعَ أو يركبْ جناحي نعامة ... ليُدرك ما قدمتَ بالأمس يُسبق[2]

وقول الحطيئة[3] يرثي علقمة بن علاثة :

فما كانَ بيني لو لقيتك سالماً ... وبين الغنى إلا ليال قلائل
ولو عشتَ لم أملل حياتي فان تمت ... فما في حياةٍ بعد موتك طائل[4]

ومنهم أيضاً من يغرق في وصف فضيلة واحدة على حسب ما تقدم ، وتكون جميع الأحوال في المراثي جارية على حسب أحوال المديح وفي ما تقدم في باب المديح في وصف ذلك ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وليل كلامنا في المراثي الكلام في التشبيه .

---

(١) ثقاب : ذكي • رجل نجيح : منجح الحاجات ، ورأى نجيح صواب• المأقط : الشدة •

(٢) فمن يسع أو يركب الخ : من يكلف لحاقك كان سبوقا وضرب المثل بجناحي النعامة لانه يضرب به المثل في خفة العدو •

(٣) شاعر مخضرم توفي عام ٣٠ هـ •

(٤) الطائل : الفضل والقدرة والسعة •

٤ ـ نعت التشبيه

يجب أن نذكر أولاً معنى التشبيه ثم نشرع في وصفه فنقول :

إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا ، فصار الإثنان واحداً ، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ، ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها وإذ كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، حتى يدني بهما إلى حال الإتحاد . ومما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف العليمي يذكر صوت جرع رجل قرى اللبن :

فغب دِجالاً جرعه متواترٌ كوقع السحاب بالطِّراف المددّد[١]

فهذا المشبه إنما يشبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذي من أدم ومن جودته أنه لما كانت الأصوات تختلف ، وكان اختلافها إنما هو بحسب الأجسام التي تحدث الأصوات اصطكاكها ، وليس يدفع أن اللبن وعصب المري اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت الجرع قريب الشبه من الأديم الموّن والماء الذين حدث عن اصطكاكهما صوت المطر ، وعند سلوك هذه السبيل في تعرف جودة التشبيه يستجاد قول جبهاء الأشجعي ، في تشبيه صوت حلب عنز بصوت الكير إذا نفخ :

(١) دخالا : سريعا · غب : شرب شربة بعد شربة · الطراف : الخيمة أي الخباء اذا كان من أدم · الممدد : المبسوط ·

كأن اجيج الكيرِ أرْزامُ شخبها   إذا امتاحها في محلبِ الحي مائح[1]

وقال أوس بن حجر يشبه ارتفاع أصواتهم في الحرب تارة وهمودها وانقطاعها تارة بصوت التي تجاهد أمر الولادة :

لها صرخةٌ ثمَّ إسكاتةٌ   كما طرَّقت بنفاس بكر[2]

ولم يرد المشبه في هذا الموضع نفس الصوت ، وإنما أراد حاله في أزمان مقاطع الصرخات ، وإذا نظر في ذلك وجد الذي وقف بين الصوتين واحداً وهو مجاهدة المشقة والإستعانة على الألم بالتبديد في الصرخة .

ومن جيد التشبيه قول الشماخ يذكر لواذ الثعلب من العقاب :

تلوذُ ثعالبُ الشّرفين منها   كما لاذ الغريمُ من التّبيعِ[3]

وقد يختلف اللواذان بحسب اختلاف اللائذين ، فأما التبيع فهو ملحّ في طلب الغريم لفائدة يرومها منه ، والغريم بحسب ذلك يجتهد في الروغان في اللواذ خوفاً من مكروه يلحقه ، وكذلك الثعلب والعقاب سواء ، لأن العقاب ترجو شبعها والثعلب يخاف موته ، وقال الشماخ :

كأنّ على أوراكها من لُعابه   وخيفةُ خطمي بماء مُرجرج[4]

فشبه لعاب الفحل إذا ظهر على أورك الآتن[5] عند كدمه إياها

---

(١) أجيج الكير : صوته · الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن · امتاحها استدر لبنها · المائح : المستدر اللبن يقال : امتاحت الشمس زفري البعير استدرت عرقه ·

(٢) طرقت : من التطريق وهو خروج بعض الولد عند الوضع ·

(٣) تلوذ : تفر · الثعالب : جمع مفرده ثعلب · الشرفين : تثنية شرف وهو ما شرف من الارض وهو اسم موضع · الغريم : الشخص المدين· التبيع : صاحب الدين ·

(٤) الخطمي : بكسر الخاء وفتحها نبات محلل منضج ملين نافع لعسر البول والحصا ·

(٥) جمع أتان ·

بالخطمي وهو شبيه به في قوام الثخن وفي الرغوة وفي اللون أيضاً ، وذلك أن الحمار إنما يكثر كدمه [1] الآن في الربيع عند خضرة الرطب ، وشره في ذلك الوقت .

وقد أحسن الشماخ في قوله حين شبه أضلاع الناقة حين براها السير بالقسي الموترة :

فقربتُ مبراةً كأنَّ ضلوعَها من الماسخيات القسِيَّ الموتَّرا [2]

مبراة من البرة التي تجعل في الأنف من الناقة . والماسخيات : قسي تنسب إلى قوم ؛ وقد أحسن الشماخ في هذا التشبيه ، من قبل اجتماع الأضلاع والقسي الموترة في الشكل والتوتر والأعصاب ، والأوتار ، ولم يرد إلا الشكل فقط ، وقد أتى على ما فيه .

ولابن أحمر الباهلي يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة :

حتى ضحية طاوياً ذا شرَّة وفؤادُه زجل كعرفِ الهُدهدِ [3]

فتواتر نبض قلب الفرس إذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة عرف الهدهد

وللمرّار :

لها قلاص نعام يرتقين بها كأنَّهنَّ سبي لابسو الهدم [4]

---

(١) الكدم : الجماع والمواقعة .

(٢) الموتر : الذي شدت بالاوتار فقد شبه ضلوع الناقة في الانحناء بالقوس وهذا تشبيه حسن بديع .

(٣) ضحية : اسم فرس الشاعر . شرة : قوة ونشاط . زجل : كثير الاضطراب والخفقان .

(٤) القلاص : فواضل ريش النعام .

فما أحسن ما شبه فواضل ريش النعام بانسدال الأطمار الرثة على اللابس ولا سيما السبي ، فإن في مشيهم أعجمية تشبه مشي النعـــام ، وفي ألوان ثيابهم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام ، ففي الشيئين اشتراك في معان كثيرة .

وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن :

فمنها : أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة كما قال امرؤ القيس :

له أيطلاً ظبي وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تتفل[1]

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء وذلك أن مخرج قوله له أيطلاً ظبي إنما هو على أنه له أيطلان كأيطلي الظبي وكذا ساقان كساقــي نعامة وإرخاء كإرخاء السرحان وتقريب كتقريب التتفل .

ومنها : أن يشبه شيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير وذلك كمـــا قال امرؤ القيس :

وتعطو برخصٍ غير شثنٍ كأنه أساريعُ ظبيٍ أو مساويكُ إسحلِ[2]

ومنها : أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تـــلك الأحوال كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها :

ومشدودةِ السّك موضونةٍ تضاءل في الطي كالمبـــردِ[3]

---

(١) أيطلا ظبي : خاصرتا ظبي وانما خص الظبي لانه ضامر وكذلـك النعامة لانها طويلة الساقين ٠ الارخاء : الجري الذي فيه سهولة مأخوذ من الرّخاء وهو الريح السهلة ٠ السرحان : الذئب ٠ تتفل : ولد الثعلب ٠

(٢) تعطو : تتناول ٠ برخص : باصابع رخصة لينة ٠ شثن : خشنة ٠ أساريع : صغار ٠ ظبي : اسم رملة ٠ الاسحل : شجر يستاك به ٠

(٣) مشدودة : متداخل بعضها في بعض ٠ السك : الدرع ٠ تضاءل في الطي : يعني اذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالمبرد ٠

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال :

تفيضُ علـى المرءِ أردانهـا كفيض الأتيِّ على الجدجدِ [1]

وكما قال يزيد بن الطثرية يشبه رأسه في حال كون الجمة عليه وبعد حلقها :

فأصبح رأسي كالصخيرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها [2]

وأحسن أيضاً في تشبيه رأسه بعد الحلق بالصخرة ، وذلك أنـه قريب منها في الضخامة والملاسة واللون المائل إلى خضرة . وقد قـال بعضهم في مثل ذلك :

حنا كل إملاء الأكف كأنها رؤوسُ رجال حُلقت في المواسم

وقال الحسين بن مطير يشبه أفعال رجل مات وكان جواداً :

فتىً عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ومن أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقة واحدة من تشبيه شيء بشيء فيأتي الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي أخذ فيها عامة الشعراء ، فمن أمثال ذلك أن أكثر الشعراء يشبهـون الخوذ بالبيض كما قال سلامة بن جندل :

كأنَّ نعاماً باض فوق رؤوسهم بنهي القذاف أو بنهي مخفـق

وقال :

كأنَّ نعام الدوَّ باضَ عليهم وأعينهم تحتَ الحبيك الجواحرِ [3]

---

(١) أردانها : أطرافها . الاتي : السيل . الجدجد : الارض ذات الحصا .

(٢) اشرفت عليها الخ : أي علت عليها ووقفت والمراد شعر العقاب الذي في مقدم رأسه فانه قد شبه رأسه قبل حلقها بالصخرة الصغيرة قـد أشرف عليها عقاب وبعد حلقها بالصخرة التي طار عنها العقاب .

(٣) الدو : الفلاة الواسعة . الحبيك : جمع حبيكة وهي البيضة . الجواحر : البيض .

وأكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه فقال أبو شجاع الأزدي :

فلم أرَ إلا الخيلَ تعدوُ كأنما سنَّورُها فوق الرُّؤس الكواكب[1]

وربما كان الشعراء يأخذون في تشبيه شيء بشيء والشبه بين هذين الشيئين من جهة ما ، فيأتي شاعر آخر في تشبيهه من جهة أخرى فيكون ذلك تصرفاً أيضاً مثال ذلك أن جل الشعراء يشبهون الدروع بالغدير الذي تصفقه الرياح كما قال أوس بن حجر :

وأملسَ صولي كنِهي قَرَارَهُ أحسَّ بقاعٍ نفخَ ريحٍ فأجفلا[2]

وقال الآخر :

وعليَّ سابغة الذُّيول كأنها سوقُ الجنوب جناب نهي مفرط[3]

وكثير من الشعراء ينحون في تشبيه الدروع هذا المنحى وإنما يذهبون إلى الشكل ، وذلك أن الريح تفعل بالماء في تركيبها إياه بعضاً على بعض ما يشبهه في حال التشكيل فقال سلامة بن جندل عادلا عن تشبيه الشكل إلى تشبيه اللين وذلك أن اللين من دلائل جودة الدرع لصغر قتيرها وحلقها :

فألقوا لنا أرسان كل نجيبةٍ وسابغة كأنها مَتْنُ خرنق[4]

وقال يذكر بريقها وهو وجه غير الوجهين الأولين :

---

(١) سنورها : لبوس من قد يلبس في الحرب .

(٢) النهي : بفتح النون وكسرها الغدير أو شبهه . القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .

(٣) سابغة الذيول : درع تامة طويلة واسعة . الجنوب : ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا . نهى مفرط : غدير غزير .

(٤) أرسان جمع رسن وهو الحبل وما كان من زمام على أنف . نجيبة: الناقة السريعة . المتن : الظهر . خرنق : أرنب والمعنى درع لين كأنه ظهر أرنب .

مداخلةٌ من نسج داودَ سكهــا كنكب ضاح من عماية مُشرق

ومن التشبيه الجيد للحكم الخضري يصف غليان القدر بما فيها من قطع اللحم :

كأنَّ جذُولَ النَّابِ فيها إذا غلتْ دعامبصُ تخشى صائداً فتعوم[1]

ولقيس بن زهير :

كأنَّ خذاريفَ السواعدِ بيننــا مغالي غواةٍ يلعبون بها لِعبا[2]

وللرقبان أحد بني عرافة بن سعد بن زيد :

وقد سقوهن سجالاً فاستقــو من أجــنٍ كأنهنَّ الزنبــق[3]

ثم أتبع القول في التشبيه القول في الوصف .

٥ ـ نعت الوصف

أقول : الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات . ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ، ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته .

فمن ذلك : قول الشماخ يصف أرضاً تسير النبالة فيها :

---

(١) الجذل : أصل الشيء · الناب : السن خلف الرباعية · الدعاميص: جمع دعمص وهي دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء ·

(٢) خذاريف : جمع مفرده وهو شيء يدوره الصبي بيده فيسمع له دوي ·

(٣) السجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء ·

تقعقع في الآباط منها وفاضُها   خلت غير آثار الأراجيل ترتمي [1]

فقد أتى في هذا البيت بذكر الرجالة ، وبين أفعالها بقوله ترتمي ، ومن الحال في مقدار سيرها بوصفه تقعقع الوفاض ، إذ كان في ذلك دليل على الهرولة أو نحوها من ضروب السير ودل أيضاً على الموضع الذي حملت فيه هذه الرجالة الوفاض وهي أوعية السهام ، حيث قال في الآباط ، فاستوعب أكثر هيئات النبالة ، وأتى من صفاتها بأولاها وأظهرها عليها ، وحكاها حتى كأن سامع قوله يراها .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي ، يصف حال السيل عند انقلاع السحاب وسكون المطر :

لكل مسيل من تهامة بعدَ مـا   تقطّع أقرانُ السحابَ عجيجُ [2]

ومنه قول رجل من هذيل يصف حال القوم في الحرب عند الجلاد:

كمماغم الثيران بينهـم   ضربٌ تغمضُ دونَـهُ الحدَق

ومثله قوله معاوية بن خليل النصري ، من نصر بن قعين، يذكر نباهة حية ، وأنه أشهر من جدلم حي آخر :

فنحنُ الثُرَيّا وعيُوقُهـا   ونحنُ السِّما كان والمرزَم [3]

---

(١) الآباط : جمع أبط وهو باطن المنكب . الوفاض : جمع وفضة وهي جعبة السهام من الادم . والشماخ شاعر مخضرم مجيد توفي عام ٢٢ هـ .

(٢) المسيل : موضع سيل الماء كالوادي . عجيج : صوت . تقطع اقران السحاب . كناية عن نزول المطر .

(٣) العيوق : كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال ، ويطلع قبل الجوزاء ، سمي بذلك لانه يعوق الدبران عن لقاء الثريا . المرزم والمرزام نجمان وهما مع الشعريين فالذراع القبوضة هي احدى المرزمين ونظم الجوزاء احد المرزمين .

وأنتم كواكبُ مجهولـةٌ تُرى في السماء ولا تعلـم

وليزيد بن الصمد يصف آثار خيل وابل طردها فنجا بها :

ألا رُبَّ غزو ما رَكبنا جوادَه وما قد عقرنا من صفيّ ومن قرم[1]
وأصبحن قد جاوزنَ أسفل ذي حسا وآثارُها فوقَ المصيخ كالرَّقم

ولعبد الرحمن بن عبد الله ألقس يصف إصغاء السامعين إلى الغناء الحسن المطرب وهو في سلامة :

إذا ما عج مزهرُها إليها وعاجت نحوهُ أذنٌ كِرامُ[2]
فأصغوا نحوَها الأسماعَ حتى كأنهُمُ وما ناموا نِيامُ

وللمرار بن المنقذ من بلعدوية يصف الفرس الكريم :

ذو مِراح فإذا وقّرْتَـهُ فَذَلولٌ حسنُ الخلق يَسر[3]

وليزيد بن مالك الغامدي ، يصف فعل سنابك الخيل في الأرض :

يُثْرن بسهل الأرض مِمَّا يَدُسنَهُ عجاجاً وبالحزان نارَ الحباحب[4]

ولعدي بن الرقـاع العاملي ، يصف فعل سنابك حمارين إذا عدوا :

يتعاوران منَ الغبار ملاءةً غبراء محكمة عما نسجاها[5]

---

(١) الصفى : من الغنيمة ما اختاره الرئيس لنفسه ويجمع صفايا قال الشاعر :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

القرم : الفحل ·

(٢) عج : صاح · مزهرها : المزهر كمنبر العود يضرب به · عاجت نحوه اذن : اي مالت وعطفت · كرام : جمع كريمة والكريمة كل جارحة شريفة كالاذن واليد ·

(٣) وقرته : حملته حملا ثقيلا ·

(٤) نار الحباحب : دويبة صغيرة تضيء بالليل ، والمعنى أن ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة كالحباحب في حالة طيرانها ليلا مضيئة ·

(٥) يتعاوران من الغبار الخ : أي كل منهما يعير الآخر ملاءة من الغبار الذي يثيره ·

تطوي إذا علوا مكاناً ناشزاً وإذا السنابكُ أسهلت نشراها[1]

ولذي الرمة :

ترى الخود يكرَهنَ الرياحَ إذا جرت ومَيٌّ بها لولا التحرُّجُ تَفرحُ
إذا ضربتها الريح في المُرط أشرفت روادفها وانضمَّ منها الموشَّحُ[2] .

ولنتبع القول في الوصف ، بالقول في النسيب .

---

(١) ناشزا : مرتفعا ٠ اسهلت : أي سارت في أرض سهلة مستوية ذات غبار ٠ نشراها : الضمير للملاءة أي اذا سارا في مكان عال ذهبت عنهم الملاءة ، واذا سارا في مكان سهل نشراها فوقهم ٠ وعدي شاعر أموي مجيد٠

(٢) الخود : الناعمة الحسنة الخلق جمعها خودات وخود ٠ مـي : معشوقة ذي الرمة التحرج : الضيق والملل ٠ المرط : بالكسر كساء من صوف أوخز جمعه مروط ٠ الروادف : الاعجاز وذو الرمة شاعر أموي مجيد في وصف الطبيعة البدوية ٠ توفي عام ١١٧ ٠

٦ ـ نعت النسيب

أقول إن كثيراً من الناس يحتاج إلى أن يعلم أولاً : مـا النسيب ؟ ونحن نحده فنقول :

إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى بـه معهن ، وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق بين النسيب والغزل ، والفرق بينهما إن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه .

والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء ويقال في الإنسان انه غزل إذا كان متشكلا بالصورة التي تليق بالنساء ، وتجانس موافقاتهن ، لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه والذي يميلهن إليه هو الشمائل الحلوة ، والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاح المستغرب ، ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء متشاج ، وإنمـا هو متفاعل من الشجي ، اي متشبه بمن قد شجاه الحب .

وإذ قد بان ان الذي قلناه على ما قلنا ، فيجب ان يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقة اكثر ممسا يكون من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة اكثر مما يكون فيه من الإباء والعز ، وان يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ، ووافق الإنحلال والرخاوة ، فإذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض .

وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العافية واشخاص الأطلال الداثرة ، وجميـع ذلك إذا

ذكر احتيج ان تكون فيـــه أدلة على عظيم الحسرة ومن مضى الأسف والمنازعة .

ولست اذكر متى سمعت في التشوق بآثار الديار اوجز ولا اجمع ، ولا ادل على لاعج الشوق ومكمد الوجد من قول محمد بن عبيد الأزدي :

فلم تدع الأرواحُ والماء والبلَى من الدار إلا ما يشوقُ ويشغف[1]

ولعمري إن عمرو بن أحمر الباهلي قد أوجز وأبان عن تشوق وعظم تحسر بقوله :

معارفُ تلوى بالفؤاد وإن تَقل لها بيّني لي حاجةً لم تكلم[2]

واما قوله « لم تكلم » فهو تجاهل الهائم ، وتدله الواله ، فإنه قد يحتاج إلى ان يكون في شعر الوامق دليل على انه للتحنن .

وممن شاقته المنازل صخر الخضري وقد مر على ربع فقال :

بَليتَ كما يبلى الرداء ولا أرى جناباً ولا أكناف وزرةً تخلقُ
ألوى حيازيمي بهنّ صبابــةً كما تنطوي الحيّة المتشَرق[3]

وممن شاقه البرق فأحس ما مر به من الشوق حبيش بن مطر العامري ، حيث يقول ويذكر خفقان قلبه :

أجدكَ لا يبدو لكَ البرقُ مرّةً منَ الدّهر إلا ماء عينيك يذرف[4]

---

(١) الارواح : جمع مفرده ريح • الا ما يشوق ويشغف : أي الا رسوما وآثارا تسبب الشوق والشغف على ما مضى من أيام الانس والنعيم •
(٢) معارف تلوى : المعارف الآثار ، تلوى : تذهب به •
(٣) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن •
(٤) أجدك : منصوب على المصدرية ولا يقال الا مضافا ومعناه القسم واليمين •

وقلبكُ من فرط اشتياق كأنه ... بدا لامعٌ أو طائرٌ ينطرّف

ولرجل من عبس :

إذا الله أسقى دمنتين ببلدة ... من الأرض سُقياً رحمة فسقاهما[1]
نزلنا بهذي منزلاً ثمّ منزلاً ... بهذي قطابَ المنزلان كلاهما
فبتُّ أشيمُ البرقَ مرتفقاً لـه ... يداً عن يد حتى وفي منكباهما[2]

وقال الشماخ :

رأيتُ سنا برقٍ فقلت لصاحبي ... بعيدٌ بعلو ما رأيتُ سحيقُ[3]
فباتَ مهماً لي يذكرني الهوى ... كأنّي لبرق بالحجاز صديق[4]
وباتَ فؤادي مستخفاً كأنـه ... خوافي عقابٍ بالجناح خفوق[5]

فأما النسيب نفسه فقد تقدمت اوصافنا له .

ومما اختم به القول ان المحسن من الشعراء فيه هو الذي يصف من احوال ما يجده ما يعلم به كل ذي وجد حاضر او داثر انه يجد او قد وجد مثله ، حتى يكون الشاعر فضيلة الشعر .

---

(١) الدمنة : ما ارتفع من الارض .

(٢) أشيم البرق : يقال شام البرق نظر اليه أين يقصد ، وأين يمطر . مرتفقا له : أي واقفا ثابتا دائم الثبوت لانظر اليه .

(٣) سنا برق : ضوءه . بعلو : اسم موضع وفي رواية يفلج وهي موضع كذلك بين البصرة وحمى . ما رأيت : ما بمعنى الذي . سحيق : بعيد، وهو توكيد معنوي لبعيد . والمعنى : الذي يلمع بعيد .

(٤) مهما لي : محزنا لي . وحجاز : الارض المعروفة لانها سميت بهذا الاسم حجزت بين تهامة ونجد .

(٥) مستخفا : اسم مفعول استخفه الشيء فهو مستخف أي حمله الجهل والخفة . الخوافي : جمع خافية وهن ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت. هذا والشماخ شاعر مخضرم توفي عام ٢٢ هـ .

فمن ذلك قول ابي صخر الهذلي يصف ما ارى ان كل متعلق بمودة يجد مثله قوله :

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أماتَ وأحيا والذي أمره الأمر[1]
لقد كنتُ آتيها وفي النفس هجرها ... بتاتاً لأخرى الدّهر ما طلعَ الفجر
فما هو إلا أن أراها فجـاءةً ... فأبهتُ لا عرفٌ لديَّ ولا نكرُ
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها ... كما قد تُنسّي لبَّ شاربها الخمر

وفي هذه القصيدة ايضاً موجع آخر ، دال على إفراط المحبة مبين عن سجية في اهل الهوى عامة وهو قوله :

ويمنعني من بَعدِ إنكـار ظلمها ... إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذر
مخافة أني قد عرفتُ لأن بـدا ... لي الهجرُ منها ما على هجرها صبر
وإني لا أدري إذا النّفس أشرفت ... على هجرها ما يفعلنّ بي الهجر

وكما قال الشاعر :

يودُّ بأن يمسي سقيمـاً لعلّهـا ... إذا سمعت عنهُ بشكوى تُراسله[2]
ويهتزُّ للمعروف في طلب العلى ... لتحمدَ يوماً عند ليلى شمائلـه

فهو من احسن القول في الغزل ، وذلك أن هذا الشاعر قد أبان في البيت الأول عن أعظم وجد وجده محب ، حيث جعل السقم أيسر ما يجد من الشوق ، فإنه اختاره ليكون سبيلا إلى أن يشفى بالمراسلة فهو أيسر ما يتعلق به الوامق وأدنى فوائد العاشق ، وأبان في البيت الثاني عن إعظام منه شديد لهذه المرأة حيث لم يرض لنفسه

(١) كرر الذي للتفخيم . وجواب القسم قوله في البيت الآتي « لقد كنت آتيها » .

(٢) سقيما : مريضا . شمائله : طبائعه مفرد شمال .

كونُها على سجيتها الأولى ، حتى احتاج إلى أن يتكلف سجايا مكتسبة يتزين بها عندها ، وهذه غاية المحبة ، ووصف الشاعر لذلك هو الذي يستجاد لاعتقاده إذا كان الشعر إنما هو قول ، وإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد ، لأنه قد يجوز أن يكون معتقد لأضعاف ما في نفس هذا الشاعر من الوجد، بحيث لم ينكروه وإنما اعتقدوه فقط ، ولم يدخلوا في باب من يوصف بالشعر والقول والنسيب قول طريح الثقفي :

بـانَ الخليط وفرَّقَ الشَّمـل — وعلى التفرُّق ما بدا الوصل[1]
أبكاكَ منهم ما فرحتَ بـه — ولكل مولد فرحـةَ ثكـل

ومن هذه الأبيات :

ممسودةٌ خلِقـت فعَليتُهـا — خُوطٌ ومعقد مَرطِهَا عبلُ[2]
تضعُ البريمَ فيستدير عـلى — فعـم ألَفَّ كأنه رمـل[3]
يُسجى إذا ما قلت أخفضـهُ — ويثور منكشِطاً إذا يعلو[4]
وقيامها حسمٌ وضحكتهَـا — عندَ العجيب تبسُّم رَتـل[5]
وعلا بها عظـمٌ فألحقهـا — بنسائها ولدَاتهـا بـل

ولأبي صخر الهذلي في التصابي والخلاعة :

أرادَ الشيب منّي ختلَ نفسي — لأنسي ذكرَ ربّات الحِجَال[6]

(١) بان : تفرق وابتعد · الخليط : الشريك ·

(٢) ممسودة : مجدولة الخلق · خوط : ناعم رفيع كالغصن · ومعقد مرطها عبل : اي عنقها ضخم ·

(٣) البريم : خيطان مختلفان احمر وأبيض تشده المرأة على وسطها وعضدها · الفعم : التي استوى خلقها وغلظ ساقها فهي فعمة ·

(٤) يسجى : يغطى · منكشطا : مرتفعا ·

(٥) رتل : حسن ·

(٦) ختل نفسي : خداعها ·

إذا اختصم الصبي والشيبُ عندي فأفلجت الشبابَ فلا أبالي[1]

فقد أتينا من ذكر نعوت الأغراض التي نحتها الشعراء من المعاني ، وهي : المديح — والهجاء وغيرها مما عددناه وشرحنا أحواله ، على ما فيه كفاية لمن له فهم ، وعنده نظر وفحص .

وهذه المعاني التي ذكرناها من أغراض الشعراء فإنما هي أجزاء من جملة ، وما تكلمنا به فيها مع ما بيناه فيه من الحال فيه مثالاً لغيره واعتباراً في ما لم نذكره .

فأما ما يعم جميع المعاني الشعرية فإنا نبتدىء بذكره وتعديده ، فمن ذلك :

١ ـ صحة التقسيم

وهي أن يبتدىء الشاعر فيضع أقساما فيستوفيها ولا يغادر قسما منها ، مثال ذلك قول نصيب يريد أن يأتي بأقسام جواب المجيب عن الاستخبار :

فقالَ فريقُ القومَ لا وفريقهم نعم وفريقٌ قالَ ويحك لا أدري

فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام

ومثل ذلك أيضاً قول الشماخ يصف صلابة سنابك الحمار وشدة وطئه على الأرض :

متى وقعت أرساغُهُ مُطمئنةً على حجرٍ يرفضُ أو يتدحرجُ[2]

---

(١) أفلجت الشباب : نصرت الشباب وجعلته ظافرا . وأبو صخر شاعر أموي مجيد .

(٢) أرساغه : جمع رسغ ، والرسغ بالضم وبضمتين الموضع المستدق بين الحافز وموصل الوظيف من اليد والرجل ويجمع أيضا على أرسغ . مطمئنة : ساكنة . يرفض : يتفرق ويذهب . يتدحرج : يتتابع .

فليس في أمر الوطء الشديد إلا أن يوجد الذي يوطأ عليه رخواً فيرض أو صلباً فيدفع .

ومثال ذلك أيضاً قول الأسعر بن حمدان الجعفي يصف فرسا على هيئته بجميع جهاته :

أما إذا استقبلته فكأنّـــهُ باز يُكَفكِفُ أن يطيرَ وقد رأى
أما إذا استدبرتَهُ فتسوقُـــهُ ساقٌ قموص الوقع عارية النَّسا[1]
أمّا إذا استعرضته متمطّـــراً فتقول هذا مثل سِرحان الغَضا[2]

فلم يدع هذا الشاعر قسما من اقسام النصبة التي يرى الفرس عليها إلا اتى به . وقد يجوز ان يظن ظان في قولنا ان هذا الشاعر قد اتى بجميع الأقسام . وكل جسم فله ست جهات فإذا ذكرت حال اربع منها بقيت جهتان لم تذكرا . وحل هذا الشك إن وقع من احد هو ان هذا الشاعر إنما وصف فرسا لا جسما مطلقاً وللفرس احوال تمتنع بها من ان تنتصب على كل نصبة ، ومع ذلك فإن هذا الشاعر إنما وصف الجهات التي يراها الإنسان من الفرس ، إذا كان على بسيط الأرض وكان الرجل قائما او قاعداً ، إذ كانت هذه الحال التي يرى الناس عليها الخيل في اكثر الأمر ، فأما مثل ان يكون الإنسان في علية فيرى من الفرس اعلاه فقط فما ابعد ما يقع ذلك ، ولم يقصده الشاعر ، ولا له وجه في ان يريده ، إذ كان ليس في ما يعرف ويعهد من النظر إلى الخيل إلا ما ذكره ، وهو ان تستقبل او تستدبر او تستعرض من احد الجانبين .

ومثال هذا الباب ايضاً قول (ابي) زيد الطائي :

---

(١) عارية النسا : النسا عرق من الورك الى الكعب .
(٢) السرحان : الذئب . الغضا : نوع من الشجر .

يا اسمَ صبراً على ما كان من حدثٍ إنّ الحوادثَ ملقيٌّ ومنتظَرٌ[1]

فليس في الحوادث إلا ان تكون قد لقيت او ينتظر لقيها .

ومن انواع المعاني واجناسها ايضاً :

٢ ـ صحة المقابلة

وهو ان يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، او يشرط شروطا ويعدد احوالا في احد المعنين ، فيجب ان يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده ، وفي ما يخالف بضد ذلك ، كما قال بعضهم :

تقاصرن واحلولينَ لي ثمّ إنــه أتت بعدُ أيّامٍ طوال أمرّتِ

فقابل القصر والحلاوة بالطول والمرارة ، ومثله قول الآخر :

وإذا حديثٌ ساءني لم أكتئب وإذا حديثٌ سرّني لم أشِر[2]

فقـــد جعل بإزاء سرني ساءني ، وبإزاء الاكتئاب الأشر وهذه المعاني غاية في التقابل .

ولعقيل بن حجاج :

تشقّ في حيثُ لم تَبعُد مصعدَة ولم تُصوب إلى أدنى مَهاويها

فجعل بإزاء قوله «تبعد مصعدة» ادنى مهاويها ولو جعل بإزاء الإبعاد في الصعود الهوى من غير ان يقول ادنى المهاوي لكانت المقابلة ناقصة . كما قال تبعد قال ادنى ، ولو قال «لم تبعد» لقنع منه بأن يقول تحوي من غير ان يأتي بالدنو .

---

(١) يا اسم : منادى ترخيم أسماء . الحدث : ما يحدث للانسان من احوال الدهر واحداثه وأبو زيد شاعر مخضرم توفي عام ٤١ هـ وكان مجيدا في وصف الاسد .

(٢) لم أكتئب : لم أحزن . الاشر : المرح .

وللطرماح بن حكيم :

أسرناهم وأنعمنا عليهم — وأسقينا دماءهم الترابا
فما صبروا لبأسٍ عندَ حربٍ — ولا أدّوا لِحُسن يدٍ ثوابا[1]

فجعل بإزاء ان سقوا دماءهم التراب وقاتلوهم ان يصبروا، وبإزاء ان انعموا عليهم ان يثيبوا .

ولآخر :

جزَى الله عنّا ذاتَ بعل تصدّقت — على عزبٍ حتى يكونَ له أهل[2]
فإنّا سنجزيها كما فعلَتْ بِنا — إذا ما تزوّجنا وليسَ لها بعلُ[3]

فقد اجاد هذا الشاعر حيث وضع مقابل ان تكون المرأة ذات بعل (انه عزب) ، وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزبة ، من غير أن يغادر شرطاً ولا أن يزيد شيئاً .

٣ – ومن انواع المعاني صحة التفسير

وهو أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد او ينقص مثل قول الفرزدق[4] رحمه الله :

لقد جِئتُ قوماً لو لجأتُ إليهم — طريدَ دم أو حامِلاً ثقلَ مغرم

فلما كان هذا البيت محتاجا إلى تفسير قال :

---

(١) يد : اليد النعمة مجاز مرسل علاقته السببية · والطرماح شاعر أموي من زعماء الخوارج توفي عام ١٢٥ هـ وقد حقق ديوانه عزة حسن وهو مطبوع بدمشق عام ١٩٦٨ ·

(٢) البعل : الزوج · عزب : العزب محركة من لا أهل له ·

(٣) سنجزيها : سنكافئها ويروى سنجديها ·

(٤) الفرزدق شاعر العصر الاموي توفي عام ١١٠ هـ ·

لألفيتُ فيهم مُعطياً أو مُطاعناً ... وراءك شزراً بالوشيجِ المقوم

ففسر قوله حاملاً ثقل مغرم بقوله إن يليق ، فيهم من يطاعن دونه ويحميه .

ومثله قول الحسين بن مطير الأسدي [1] :

ولهُ بلاَ حزنٍ ولا بمسرةٍ ... ضحكٌ يُراوح بَينَهُ وبكاء

ففسر بلا حزن ببكاء ولا بمسرة بضحك .

وقال صالح بن جناح اللخمي :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم إنَّني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج [2]

وفسر ذلك بأن قال :

وليَ فرسٌ للحلمِ بالحلمِ مُلجمُ ... وليَ فرسٌ المجهلِ بالجهلِ مُسرج [3]

فلم يزد المعنى ولا نقص منه ، ثم فسر البيت الثاني ايضاً فقال :

فمن رامَ تقويمي فإنّي مُقوَّم ... ومن رام تعويجي فإني مُعوج

وقال سهل بن مروان :

فواحسرتى حتى متى القلبُ مُوجَع ... بقصدِ حبيبٍ أو تعذر إفضالِ

---

(١) شاعر من مخضرمي الدولتين توفي عام ١٦٩ هـ .

(٢) المراد بالجهل هنا الغضب .

(٣) ملجم: أي أن الحلم لا جمعه ومانعه من الوقوع في المكروه . ومسرج: أي أن الجهل لتمكنه فيه كأنه مسرج فيه . وينسب هذا البيت وما بعده للامام علي .

وفسر ذلك فقال :

فراقُ خليل مثله يورثُ الأسى　　　وخلةُ حرٍ لا يقومُ بها مالي

٤ ـ ومن أنواك نعوت المعاني التتميم

وهو ان يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا اتى به ، مثل قول نافع بن خليفة الغنوي :

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحق منهم　　　ويعطوهُ عاذوا بالسيوف القواطع[١]

فما تمت جودة المعنى إلا بقوله : يعطوه وإلا كان المعنى منقوص الصحة .

ومثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

بها نِلنا القرائبَ من سوانـــا　　　وأحرزنا القرائبَ أن تنالا

والذي اكمل جودة هــذا البيت قوله « واحرزنا القرائب ان تنالا » مع انهم نالوا القرائب من سواهم .

ومثله قول طرفة :

فسقى ديارَكِ غــيرَ مُفسدِها　　　صوبُ الربيع وديمــةٌ تهمي[٢]

فقوله « غير مفسدها » اتمام لجودة ما قاله لأنه لو لم يقل غير مفسدها لعيب كما عيب ذو الرمة [٣] في قوله :

ألا يا أسلمى يا دارَميَّ على البِلى　　　ولا زالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ

---

(١) عاذوا : التجئوا .

(٢) صواب الربيع : انصبابه . الديمة : المطر الدائم . تهمى : تسيل . غير مفسدها : تتميم واحتراس للديار من الهدم . وطرفة من الشعراء الجاهليين أصحاب المعلقات وأشهرهم واحدة مات عن ستة وعشرين ربيعا (٥٤٠ ـ ٥٦٦ م) .

(٣) شاعر بدوي وصاف للطبيعة وبيئة البادية . توفي عام ١١٧ هـ .

فإن الذي عابه في هذا القول إنما هو بأن نسب قوله هذا إلى أن فيه إفساداً للدار التي دعا لها ، وهو أن تعرف بكثرة المطر . ومثل قول مضرس بن ربعي :

والمانِعونَ إذا كانت ممانَعةٌ والعائذون بحسناهم إذا قدِروا

ومثل قول عبيد الراعي :

لا خيرَ في طول الإقامة للفتى إلا إذا مـا لم يجد متحوّلا(١)

ومثل قول كعب بن سعد الغنوي :

حليمٌ إذا ما الحلم زَينَ أهلَـه مع الحلم في عين العدو مهيب

ومثل قول الأسود بن يعفر :

ألاَ مَن لاَمني إلا صديـق فلاقى صاحباً كأبي زيـاد

ومثل قول حسان بن ثابت (٢) :

لم تفتها شمسُ النهار بشيء غير أنّ الشباب ليس يـدوم

ومثل قول أعشى باهلة :

لا يَصعب الأمر إلا ريثَ يركبه وكلَ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمر(٣)

ومثل قول النمر بن تولب :

لقَد أصبحَ البيض الغواني كأنمـا يرين إذا ما كنتَ فيهن أجرُبا(٤)

---

(١) يحبب الشاعر في السفر والتنقل ··والراعي شاعر أموي مجيد · توفي عام ٩٠ هـ ·

(٢) شاعر رسول الله توفي عام ٦٠ هـ ويروى أن وفاته عام ٥٤ هـ ·

(٣) الريث : الابطاء ·

(٤) البيض الغواني : النساء الحسان ·

وكنتُ إذا لاقيتهنَّ ببلـدةٍ   يقلنَ على النكراء أهلا ومرحبا

فقوله « على النكراء » أتمّ جودة المعنى وإلا فلو كانت بينهم معرفة لم ينكر أن يقلن له : أهلاً ومرحباً .

٥ - ومن أنواع نعوت المعاني المبالغة

وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده ، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في ما قصد ، وذلك مثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

ونكرمُ جارنا ما دامَ فينـا   ونتبعهُ الكرامةَ حيثُ سارا

فإكرامهم للجار ما كان فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة ، واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل .

ومثل ذلك قول الحكم الخضري :

وأقبحَ من قردٍ وأبخلُ بالقرى   منَ الكلب وهوَ غرثانُ أعجف[١]

فقد كان يجزي في الذم أن يكون هذا المهجو أبخل من الكلب ، ومن المبالغة في هجائه قوله « وهو غرثان أعجف » .

ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة :

متى ما تدع قومك ادع قومـي   فيأتي من بني جشم فئامُ[٢]
فوارسُ بهمةٍ حشدٌ إذا ما   بدا حضرُ الحيية والحذامُ[٣]

(١) القرى : الطعام · الغرثان : الجائع · الاعجف : النحيف الذي ذهب سمنه ·

(٢) الفئام : الجماعة من الناس ودريد بن الصمة شاعر جاهلي ادرك الاسلام ولم يسلم ، وقتل في حنين عام ٨ هـ ·

(٣) البهمة : الجيش ·

والمبالغة الشديدة في هذا الشعر هي في قوله الحيية :

ومنه للحكم الخضري أيضاً :

فكن يا جارَهم في خير دار فلا ظلم عليك ولا جفـاء

فقوله « فلا ظلم عليك ولا جفاء » توكيد ومبالغة .

ومنه قول رواش بن تميم ، أحد الغطاريف ، الأزدي :

وإنا لنُعطي النّصف منّا وإنّـا لنأخذهُ من كل أبلَخَ ظالم [1]

فهذه مبالغات مضاعفة مكررة .

ومنه قول مضرس [2] :

بهم تمتري الحربُ العَوانُ وفيهمُ تؤدّى القروضُ حلوُها ومريرُها

فقوله « ومريرها » مبالغة .

وكذلك قول أوس بن غاغاء الهجيمي :

هُمُ تركوكَ أسلحَ من حُبارَى رأت صقراً وأشرَد من نَعام [3]

٦ ـ ومن نعوت المعاني التكافؤ [4]

وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه . أي معنى كان ، فيأتي بمعنيين متكافئين .

والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما مـن

(١) النصف : الحق كاملا . الابلخ : المتكبر .
(٢) مضرس شاعر حسن التشبيه والوصف ، وهو مخضرم (٢٩٠ معجم الشعراء ، ٢/٢٩٢ الخزانة) . تمترى الحرب : يشتد وطيسها .
(٣) الحبارى : طائر .
(٤) هو الطباق

جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل مثل قول أبي الشعب العبسي :

حُلوُ الشمَّائِل وهو مرٌّ باسلٌ   يَحمي الدمارَ صبيحةَ الأرهان[1]

فقوله « مر وحلو » تكافؤ .

ومثل قول أم الضحاك المحاربية :

وكيفَ يساوي خالداً أو ينالُه   خميصٌ منَ التَّقوى بطينٌ من الخمرِ[2]

فقوله « خميص وبطين » تكافؤ .

ومثل قول طرفة :

بطيء إلى الجلى سريعٌ إلى الخنـــا   ذلولٌ بإجماع الرجال ملَهَّدِ[3]

فقوله « سريع وبطيء » تكافؤ .

ومثل قول زهير[4] :

حلماء في النَّادي إذا ما جِئتهم   جُهلاء يومَ عجاجة ولِقـــاء

فقوله « حلماء وجهلاء » تكافؤ .

ومثل قول حميد بن ثور :

فلم أرَ محزوناً له مِثلُ صوتها   ولا عربياً شاقَه صوتُ أعجما

فقوله « عربي وأعجم » تكافؤ .

---

(١) الشمائل : جمع الشمال : الطبع. الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٢) الخميص : الضامر البطن . بطين من الخمر : أي كثير الشرب لها.

(٣) الجلى : الشيء العظيم . الخنا : الفحش . ملهد : مدفع يدفعه الناس .

(٤) زهير حكيم الشعراء في الجاهلية ومن النقاد من يضعه على رأس الشعراء الجاهليين ، وكان من أسرة شاعرة ، وهو من أصحاب المعلقات. توفي نحو عام ١٣ ق هـ .

ومثل قول الآخر :

بطاء عن الفَحشاء لا يحضرونَها سراع إلى داعي الصبّاح المثوب[1]

ومثل قول عباس بن مرداس :

مطهّماً خلقه شمّا سنابكُـــهُ صعلاً على أنّ في الجنبَين أجفارا[2]

فجعل « صعلاً » مكافئاً لأجفار .

ومثل قول الفرزدق :

فتى السن كهلُ العلم قد عرفت له قبائِلُ مــا بين الدني وأباد[3]

فقوله « فتى » مكافأة لقوله « كهل » .

وقال الفرزدق أيضاً :

لعمري لئن قلّ الحصى في رجالكم بني نهشل مــا لؤمُكُم بقليل[4]

فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب .

واستجاد الناس قول دعبل حين روي أنه قال :

لا تعجبي يا سلْم من رجـــــلٍ ضَحِكَ المَشيبُ برأسه فبكى[5]

لأن ضحك وبكى مكافأة .

---

(١) بطاء عن الفحشاء : قليلو الاسراع اليها . داعي الصباح : المؤذن للفجر . المثوب : الداعي الى الصلاة .

(٢) المطهم : كمعظم السمين الفاحش السمن . السنبك : طرف الحافر . الصعل : الطويل وقيل الدقيق الرأس والعنق . الجفر : ما عظم واستكرش يجمع على أجفار . وعباس شاعر صحابي جليل من المخضرمين .

(٣) فتى السن : صغير السن . كهل العلم : قديم فيه . الدنى واباد : اسمان لموضعين تقطن بينهما تلك القبائل .

(٤) الحصى : العدد .

(٥) ضحك المشيب : أي اشتد بياض شعره . ودعبل شاعر عباسي مشهور توفي عام ٢٤٦ هـ .

وقد أتى المحدثون من التكافؤ بأشياء كثيرة ، وذلك أنه بطباع أهل التحصيل والروية في الشعر والتطلب لتجنيسه أولى منه بطباع القائلين على الهاجس [1] بحسب ما يسنح من الخاطر مثل الأعراب ومن جرى مجراهم [2] على أن أولئك [3] بطباعهم قد أتوا بكثير منه وقد قدمنا بعضه وما للمحدثين في ذلك [أكثر] مثل قول بشار [4] :

إذا أيقظتك حروب العِدَى فنبـه لهَا عمـراً ثُمَّ نَـمْ

فـ « نَبِّـه » « ونَـمْ » تكافؤ .

وله أثر في تجويد الشعر قوي فإنه لو قال مثلاً « فجرد لها عمراً » لم يكن لهذه اللفظة لـ « نَبِّهْ » من الموضوع مع نم .

٧ – ومن نعوت المعاني الالتفات

وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه فإما أن يذكر سببه ، أو يحل الشك فيه ، مثال ذلك قول المعطل في بني رهم من هذيل :

تبينُ صلاَةُ الحرب منّـا ومنهُم إذا ما التقَيْنَا والمسالم بادِنُ [5]

فقوله بادن ، رجوع عن المعنى الذي قدمه ، حين بين أن علامة صلاة الحرب أن المسالم يكون بادناً والمحارب ضامراً .

(١) أي على القريحة فهو عند أصحاب الصنعة أكثر منه عند أصحاب الطبع .

(٢) ممن هم من أصحاب الطبع .

(٣) أي اصحاب الطبع .

(٤) زعيم المحدثين توفي عام ١٦٧ هـ .

(٥) البادن : السمين .

وقول الرماح بن ميادة :

فلا صَرمهُ يبدُو وفي اليأس راحة ولا وصالُهُ يَبدُو لَنا فتُكارِمُه[1]

فكأنه [وهو] يقول « وفي اليأس راحة » التفت إلى المعنى لتقدير أن معارضاً يقول له ما تصنع بصرمة ؟ فقال لأن في اليأس راحة .

ومن هذا الجنس قول عبيدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر :

أجمل إذا ما كنت لا بدّ مانعاً وقد يمنعُ الشيء الفتى وهوَ مجمل[2]

ومنه قول امرىء القيس :

يـا هل أتاك وقـد يحدِثْ ذو الودّ القديم متمة الذّحلِ[3]

فكأنه لما قـال « أتاك » وكان المعنى مسرعين مظهراً وهم أن المخاطب يقول له : كيف يبلغني فقال وقد يحدث ذو الود القديم متمة النحل .

وقول طرفة :

وتكفَ عنكَ مَخيلَة الرجلِ العريض موضحة عنِ العظم[4]

بحُسامِ سَيفِكَ أو لِسانِك والكلمُ الأصيلُ كأرغب الكلم[5]

فكأنه لما بلغ بعد « حسام سيفك أو لسانك » قدر أن معترضـاً يعترضه فيقول كيف يكون مجرى السيف واللسان واحداً فقـال : والكلم الأصيل كأشد الجراح وأكثرها اتساعاً .

---

(١) صرمه : الصرم القطع .

(٢) أجمل : أحسن وتلطف في المنع . والرماح بن أبرد واسم أمه ميادة : شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين ، وكان جيد الغزل ، توفي عام ١٤٩ هـ (٨٥/٢ ـ ١١٦ الاغاني ، ١٤٣/١١ ـ ١٤٨ معجم الادباء ، ٧٧/١ الخزانة) .

(٣) الذحل : الثأر .

(٤) تكف : ترد وتمنع ويروى تصد . العريض : كسكيت الذي يتعرض للناس بالشر .

(٥) الحسام : السيف القاطع .

ومنه قول جرير بن ربعان :

مَعازيلُ الهيجاء ليسوا بزادةٍ   مجازيعُ عند اليأس والحرُّ يَصبر[1]

ففي قوله « والحر يصبر » التفات إلى أول كلامه .

★ ★ ★

وقد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الإستغراب والطرافة بأن يكون المعنى مما لم يسبق إليه ، وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف لأن المعنى المستجاد إذا كان في ذاته جيداً فإما أن يقال له جيد إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله ، فهذا غير مستقيم بل يقال لما جرى هذا المجرى طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فإذا كثر لم يسم بذلك وغريب وطريف هما شيء آخر غير حسن أو جيد لأنه قد يجوز أن يكون حسن جيد غير غريب ولا طريف فمثل تشبيههم الدروع بحباب الماء الذي تسوقه الرياح فإنه ليس جودة هذا التشبيه تعاور الشعراء إياه قديماً أو حديثاً .

وأما طريف وغريب لم يسبق إليه وهو قبيح بارد فملء الدنيا مثل أشعار قوم من المحدثين سبقوا إلى التردي فيها .

والذي عندي في هذا الباب أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدىء بالمعنى الذي لم يسبق إليه لا إلى الشعر ، إذ كانت المعاني مما لا يجعل القبيح منها حسناً لسبق السابق إلى استخراجها ، كما لا يجعل الحسن قبيحاً للغفلة عن الإبتداء .

وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر فلم يكادوا يفرقون بينهما ، وإذا تأملوا هذا الأمر نعِمّاً علموا أن الشاعر موصوف بالسبق إلى المعاني واستخراج ما لم يتقدمه أحد إلى استخراجه ، لا الشعر .

---

(١) معازيل : جمع مفرده معزال وهو من لا رمح معه . الهيجاء : الحرب .

ولنتبع بذكر المعاني وهو القسم الرابع من أقسام الشعر المفردات ذكر الأربعة المركبات التي قدمنا القول فيها في أول الكتاب .

ولنبدأ بأولها وهو :

١ ـ نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى

من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى :

المساواة :

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً ، فقال : كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر .

وذلك مثل قول امرىء القيس :

فإن تكتمُوا الداء لا نَخْفِه　　وإن تَبْعَثوا الحرْبَ لا نَقْعُد [1]
وإن تَقْتلونا نُقَتِّلكم　　وإن تَقصدوا الدَّم لا نَقصِدِ [2]

ومثل قول زهير :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة　　وإن خالها تخفي على الناس تُعْلَمِ [3]

ومثل قوله :

---

(١) لا نخفه : لا نظهره ، أي اذا دفنتم ما بيننا من فتن لا نثيرها نحن. وان تبعثوا الى الحرب لا تفقد ويروى لا نقعد . والمعنى انكم اذا أثرتم الحرب ثرنا بها ولا نفقد .

(٢) وان تقصدوا الخ أي اردتم حقن الدماء لا نخالفكم في ذلك .

(٣) الخليقة : الطبيعة . والمعنى أن من كتم خليقته على الناس وظن انها تخفي عليهم فلا بد أن تظهر .

إذا أنت لم تَرْحلْ عن الجهل والخنا أصَبتَ حَليما أو أصابكَ جاهلُ[1]

ومثل قوله :

سعى بعدَهم قومٌ لكي يُدْركوهم فلم يُدركوا ما أدْركوه ولم يَألوا[2]

ومثل قول طرفة :

لعَمْرُكَ إن الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِّول المرْخي وثنيَاهُ باليدِ[3]
ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلا ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ[4]

ومثل قول خالد بن زهير بن أخي أبي ذؤيب الهذلي :

فلا تجزَعنْ من سنّة أنت سِرتَها فأوَّلُ راضٍ سُنّةً مَن يَسيرُها[5]

ومثل قول ليلى الأخيلية :

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوب إنما لِقَاء المنَايا دارعاً مِثل حاسِرِ[6]

ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى :

الإشارة :

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها ،

---

(١) ترحل : تبعد · الخنا : الفحش · هذا وزهير من أشعر الشعراء الجاهليين ، ومن أصحاب المعلقات وشهر بالحوليات وبالحكمة · توفي نحو ١٣ ق · هـ (١ / ٣٧٥ الخزانة ـ الشعر والشعراء ـ الاغاني) ·

(٢) سعى بعدهم قوم الخ أي تقدم هؤلاء في المجد والشرف وعلو المنزلة وسعى على آثار قوم آخرون لكي يدركوهم فلم يمكنهم ·

(٣) لعمرك : بفتح العين أقسم بحياتك ان الموت لا يخطىء الفتى · الطول : الحبل · ثنياه : طرفاه ·

(٤) ستبدى : ستظهر ·

(٥) سنة : طريقة وعمل ·

(٦) توب : ترخيم (توبة) وهو توبة الخفاجي المتوفى عام ٦٧ هـ وكان يهيم حبا بليلى وتوفيت ليلى بعده عام ٨٠ هـ ·

أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال : هي لمحة دالة .

ومثل ذلك قول امرىء القيس :

فإنْ تَهلكْ شنوءة أو تبدّلْ فسيري إنَّ في غَسَّانَ خالاَ
لعِزهِمُ عَزَزْتَ وإن يَذِلُّوا فَذُلهمُ أنالكَ ما أنالاَ

فبينة هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال ، فمن ذلك قوله « تهلك أو تبدل » ، ومنه قوله « إن في غسان خالا » ، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله « أنالك ما أنالا » .

ومثل قول طرفة :

مَوْضوعُها زولٌ ومَرفوعها مرعابُ لجب وسَط الريح

فقوله « زول » مُشَارٌ به إلى معان كثيرة وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء واختصاره : عجب .

وقال آخر :

هاجَ ذا القلب من تذكر جُمْلٍ ما يُهيجُ المتيَّمَ المحزُونَا

فقد أشار هذا الشاعر بقوله « ما يهيج المتيم المحزونا » إلى معان كثيرة .

ومثل قول امرىء القيس :

على هَيْكلٍ يُعطيكَ قَبْلَ سؤالِه أفَانين جَرْي غيرَ كزٌ ولا واني[1]

فقد جمع بقوله « أفانين » جرى على ما لو عد لكان كثيرا ، وضم

(١) على هيكل : فرس طويل جميل ذو روعة . أفانين : ضروب . غير كز : ليس بالمنقبض . ولا وان : غير فاتر .

إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس ، وهو قوله « قبل سؤاله » أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً من غير حث ، وفي قوله « كز ولا وانى » ينفي عنه أن يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة والونى من قبل الإسترخاء والفترة .

ومثله أيضاً قوله يصف ذئباً :

فَظَلَّ كَمثْل الخِشف يَرفعُ رَأسَهُ   وسائِرُه مِثلَ التراب المدَقّق[1]
وجاء خَفِياً يَسفنُ الأرضَ بطنُه   ترى التربَ منه لازقاً كل ملزق[2]

في هذا الشعر إجمال للمعاني كثير ، وأوكد ما فيه من ذلك قوله « كل ملزق » .

ومثل قول زهير :

فإني لوْ لَقيتكَ واتّجهنَا   لكان لِكل مُنكرَة كفاء[3]

ومثل قول أوس بن حجر :

فإنْ يَهوَ أقوامٌ ردائي فإنّني   يَقيني الإلهُ ما وقى ورد ائيَا

ومثل قول قتادة بن طارق الأزدي :

أهاجَكَ ربعٌ قد تحمّل حاضره   وأوحش بُعد الحي منه مناظره

---

(١) الخشف : مثلثة ولد الظبي أول ما يولد · مثل التراب للصوقه بالارض ·

(٢) يسفن الارض: يقشر الارض ببطنه· لازقا كل ملزق · ويروى لاصقا كل ملصق·هذا وامرؤ القيس زعيم الشعراء الجاهليين ومن اصحاب المعلقات واول من تفتح به صفحة الشعر والشعراء في اللغة العربية ·

(٣) منكرة : خبيثة · كفاء : أي شيء يكافئه ·

يقول : ما تنظر إلى موضع منه إلا ذكرت فيه من الأنس ممن كان يحله ما قد أوحش في هذا الوقت بخلوه منه .

وللعامرية :

كيف الفَخارُ وقد صارُوا لَنـوَتِكم يَومَ الفَخار بَنُو ذَبيانَ أرْبابَا
إذ جزَّ ناصيتي حصنٌ وأعتقني وذاكَ شيَّبَ مني اليوْمَ ما شابا

ولامرىء القيس :

فَظَلَّ لنا يَوْمٌ لذيذٌ بنِعمَـــةٍ فقَلْ في مقيل نحسُهُ متَغَيِّبُ

ولامرأة من عكل :

يا ابنَ الدَّعي إنها عكلٌ فقِفْ لتَعلَمَنَّ اليوْمَ إن لم تَنصرف[1]
أنَّ الكريـــمَ واللئيمَ يختلفْ

ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى :

الإرداف [2] :

وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفـــظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع بمنزلة قول الشاعر [3] :

بَعيدةُ مَهوَى القرْط إما لنَوْفَلٍ أبوها وإما عبدُ شمسٍ فهاشمُ

وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص

---

(١) العكل : بالكسر والضم اللئيم وجمعه أعكال .

(٢) يريد به الكناية .

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى عام ٩٣ هـ . بعيدة مهوى القرط : طويلة العنق .

به ، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعد مهوى القرط .

ومثله قول امرىء القيس :

ويُضحي فتيت المسك فوق فِراشِها   نؤومُ الضُّحى لم تنتطقْ عن تفضل[1]

وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفيها فقال : « نؤوم الضحى » وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ، أي هي لا تنتطق لتخدم ولكنها في بيتها متفضلة ، ومعنى عن هذا البيت معنى بعد كذلك قوله :

وقد اغتدي والطيرُ في وَكناتِها   بمُنجردٍ قَيدِ الأوابد هيكل[2]

فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد فلم يتكلم باللفظ بعينه ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد وهي الوحوش كالمقيدة له إذا نحا في طلبها ، والناس يستجيدون لامرىء القيس هذه اللفظة فيقولون هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عنى بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الإستجادة ما جاء من إتيانه بالردف له ، وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب .

---

(١) الفتيت : ما تفتت من المسك عن جلدها • نؤوم الضحى : التي تنام في وقت الضحى لان لها من الخدم والحشم من يكفيها ويقوم بلوازم بيتها • لم تنتطق : لم تجعل في وسطها نطاقا للعمل في البيت •

(٢) اغتدى : أسير غدوة • الوكنات جمع وكنة بضم فسكون وهي عش الطائر • المنجرد : الماضي في السير وقيل هو القليل الشعر • الاوابد : الوحوش النافرة وقيد الاوابد : مبالغة في سرعة العدو : الهيكل : الضخم من كل شيء ويوصف به الفرس الطويل وامرؤ القيس أول من قيد الاوابد وأشعر الشعراء في وصف الفرس •

ومنه قول ليلى الأخيلية[1] :

ومخرق عنه القميص تخالُـــه بين البيوت من الحيـــاء سقيما

فإنما أرادت وصفه بالجود والكرم فجاءت بالإرداف والتوابع لهما أما ما يتبع الجود فإن « مخرق عنه القميص » المنعوت فسر أن العفاة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم إياه ، وأما مـــا يتبع الكرم فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتة نفس هذا الموصوف وإزالته عنـــه الأشر بخال سقيما .

ومنه أيضاً قول الحكم الخضري :

قد كان يُعجبُ بعضُهنَّ براعتي حتى سمِعنَ تنحنُحي وسُعالي

فأراد وصف الكبر لا باللفظ بعينه ولكنه أتى بتوابعه وهي السعال والتنحنح .

★ ★ ★

ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات المعاني وذلك إذا ذكر الردف وحده وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر أو كانت بينه وبينه أرداف أخر كأنها وسائط وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض ؛ ولم يكن داخلاً في جملة مـــا ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر الإنغلاق وتعذر العلم بمعناه .

ومن نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى :

التمثيل :

وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى

---

(١) شاعرة : عاشت العصر الاسلامي ، وشبب بها قومه الخفاجي (المتوفى عام ٦٧ هـ) وتوفيت عام ٨٠ هـ .

آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه .

ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة[1] :

ألم تكُ في يُمنى يَديكَ جَعلتَني فلا تجعلنّي بعدهــا في شِمالكا
ولوْ أنني أذنبْتُ ما كنتُ هالكا على خِصلةٍ من صالحات مهالكا

فعدل أن يقول في البيت الأول إنه كان عنده مقدماً فلا يؤخره ، أو مقرباً فلا يبعده ، أو مجتبي فلا يجتنبه ، إلى أن قال : إنه كان في يمنى يديه فلا يجعله في اليسرى ، ذهاباً نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له ، والإبداع في المقالة ؛ وعلى ذلك قول عمير بن الأيهم :

راحَ القطينُ من الأوطان أو بكّروا وصدّقوا من نهار الأمس ماذكروا[2]
قالوا لنا وعرّفنا بُعْــدَ بَينِهم قَوْلاً فماوردوا عنه وماصدَروا[3]

فكان يستغني عن قوله « فما وردوا عنه وما صدروا » بأن يقول : فما تعدوه أو يقول : فما تعدوه أو فما تجاوزوه ، ولكن لم يكن له من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله « فما وردوا عنه ولا صدروا »

ومن هذا قول بعض بني كلاب :

دع الشرَّ واحللْ بالنّجاة تعزُّلاً إذا هو لم يَصْبُغْكَ في الشر صابغ[4]

---

(١) أمه أم ولد بربرية وهو شاعر من شعراء مخضرمي الدولتين وكان جيد الغزل ، توفي عام ١٤٩ هـ (٢ / ٨٠ ـ ١١٦ الاغاني ـ ١١ / ١٤٣ ـ ١٤٨ معجم الادباء ـ ١٠٥ ـ ١٠٩ طبقات الشعراء لابن المعتز) .

(٢) القطين : المقيمون من الاحباب . ما ذكروا : من العزم على الرحيل .

(٣) البين : الفرقة .

(٤) تعزلا : تنحيا على جنب .

ولكن إذا ما الشرُّ ثارَ دفينه ... عليك فانضحْ منه ما أنتَ دابغ[1]

فأكثر اللفظ والمعنى في هذين البيتين جار على سبيل التمثيل ، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه : دع الشر ما لم تنشب فيه فإذا نشبت فيه فبالغ ولكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام الشعري والتمثيل الظريف ما لقول الكلابي .

ومن هذا قول الآخر :

تركتُ الركابَ لأربابها ... وأكرهتُ نفسي على ابن الصَّعقْ
جعلتُ يَدَيَّ وشاحَا لـه ... فأجزأ ذاكَ عن المعتنـقْ

قوله « جعلت يدي وشاحاً » إشارة بعيدة بغير لفظ الإعتناق وهي دالة عليه .

ومنه قول يزيد بن مالك الغامدي :

فإنْ أسمعوا صَبْحا زَأرنا فلم يكن ... شبيهاً بزَأر الأُسد ضبح الثعالب

فقد أشار إلى قوتهم وضعف أعدائهم إشارة مستغربة لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشيء المشار إليه بلفظ .

ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة :

أوردتهم وصدورُ العيس مُسْنِفَةٌ ... والصبح بالكوكب الدُّري منحور[2]

فقد أشار إلى الفجر إشارة ظريفة بغير لفظه .

وكذلك قول اللعين المنقري يصف ناره :

---

(١) الدفين : الخفي .

(٢) العيس : بالكسر الابل البيض يخالط بياضها شقرة . مسنفة : بفتح النون خاص بالبعير يقال أسنف البعير قدم عنقه للسير .

رأى أم نيران عوانـاً تكفهـا بأعرافها هُوج الرياح الطرائد[1]

فقد أومأ بقوله « أم نيران » إلى قدمها و « عواناً » إلى كثرة عادته لإيقادها إيماءً غريباً ظريفاً وإن كانت العرب تذكر ذلك في النار كثيراً.

وقال بعض الأعراب :

فتى صدمته الكاسُ حتى كأنما به فالجٌ من دائها فهو يرْعش

فالكأس لا تصدم ، ولكنه أشار بهـذا التمثيل إشارة حسنة إلى سكره .

وقال عباس بن مرداس [2] :

كانوا أمام المسلمينَ ردِيئةً والبيضُ يومئذٍ عليهم أشمسُ

يريد أن البيض عليهم قد صارت شموساً .

★ ★ ★

وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى ، ومعناهما أن تكون في الشعر معـان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة ، فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الأعجم :

ونُبِّئتُهم يستنصرُون بكاهِل واللؤْم فيها كاهلٌ وسنَـام

وقال الأفوه الأزدي :

واقطع الهوْجَل مستأنِسـا بهوجَل عيدانةٍ عنْتريس[3]

---

(١) الهوجاء : الريح التي تقلع البيوت والجمع هوج وقال ابن الاعرابي هي الشديدة الهبوب من جميع الرياح .

(٢) شاعر صحابي جليل وهو من المخضرمين .

(٣) العنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة .

فلفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين ، لأن الأول يعني الأرض والثاني الناقة .

وكذلك قول أبي دؤاد الإيادي :

عهدت لها مَنزلاً دائـراً وإلا على المـاء يَحمِلنَ إلا

فإلا الأولى في المعنى غير الثاني لأن الأول أعمدة الخيام ، والثاني من السراب .

وأما المجانس فأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الإشتقاق ، مثل قول زهير :

كأنَّ عينيَّ وقد سالَ السليلُ بهم وَجيرة ماؤهمُ لو أنهُمْ أمم[1]

ومثل قول العوام في يوم العظالي :

وفاضَ أسيرَاها به وكأنّما مَفارقُ مَفرُوق تَغشّيْنَ عندما

ومثل قول حيان بن ربيعة الطائي :

لقَدْ عَلِمَ القبائلُ أن قَومي لهم حد إذا لبِسَ الحديـدُ

ومثل قول الفرزدق :

جَفاف أجفَّ اللهُ منهسَحابةً وأوسعَهُ مِن كل ساف وصاحب[2]

ومثل قول الكميت [3] :

---

(١) السليل : واد بعينه وما عنا زائدة . الامم : القصد والقرب . وجواب لو محذوف .

(٢) سفت الريح التراب تسفيه ذرته ، والفرزدق : شاعر العصر الاموي وناقص جريرا طول حياته ، وكان يقال : لولا الفرزدق لذهب ثلث العربية — توفي عام ١١٠ هـ .

(٣) الكميت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة توفي عام ١٢٦ هـ .

فقل لجـــذام قد جذمتم وَسيلــه   إلينا كمختار الرّداف على الرّحل[1]

ومثل قول مسكين الدارمي :

وأقطعَ الخرق بالخرقاء لاهية   إذا الكواكب كانت في السّما سُرُجا

وكما قال النعمان بن بشير لمعاوية بن أبي سفيان :

ألم تَبتَدركمْ يومَ بدرٍ سيوفُنا   وليلكَ عما نابَ قومكَ نائمُ

وقال ذو الرمة :

كأن البُريَّ والعاج عيجت مُتُونه   على عشر نهى به السَّيل أبطح[2]

وقال رجل من بني عبس :

إن ذَلّ جاركم بالكُرْه حالفكُم   وإنّ أنفكُم لا يعرفُ الأنفا

وقال المرار :

واعْطِفني أن أرَى وزائــراً   واختلف الحيُّ قومـــاً خلوقاً

---

(١) الرداف ، بوزن كتاب : الموضع يركبه الرديف .

(٢) البري: الخلاخيل ، وذو الرمة شاعر أموي مجيد ـ توفي عام ١١٧هـ .

نعت ائتلاف اللفظ والوزن

وهو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف مقدماً والصفة مقولة عليها ، وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى شرحه لاحتجنا إلى إثبات كثير من صناعتي المنطق والنحو في هذا الكتاب ، فكان يصعب النظر فيه على أكثر الناس ، ولكن في ما أجملته في هذا القول وأشرت إليه من التنبيه على الطريق التي يعرف بها جودة هذا الباب ما كفى ، وأغنى عند ذوي القرائح السليمة ، ومن قد تعلق ببعض الآداب السهلة .

ومن هذا الباب أيضاً أن لا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً إليه ، حتى إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلا به ، حتى إن فقده قد أثر في الشعر تأثيراً بان موقعه . ولم آت في هذا الباب بأمثلة لأن كل شعر سليم ، مما ذكرت ، مثال لذلك ، فأما الأشعار التي (لم) تسلم منه فأنا أذكرها في باب عيوب الشعر إن شاء الله تعالى .

نعت ائتلاف المعنى والوزن

هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن إلى نقصها عن الواجب ولا إلى الزيادة فيها عليه ، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته ، والسبب في تركنا أن نأتي لهذا الجنس بأمثلة من الشعر هو السبب في تركنا ذلك في باب ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ونحن نذكر ما يجب ذكره من أمثلة عيوب هذا الباب في جملة ما سنذكره من عيوب الشعر .

نعت ائتلاف القافية

هو مع ما يدل عليه سائر البيت أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مر فيه .

فمن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت :

التوشيح :

وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته .

مثال ذلك قول الراعي [1] :

وأن وزنَ الحصى فوزنتُ قَومي وَجدتُ حصى ضريتهم رَزينَا

فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت استخرج منها لفظة قافيته ، لأنه يعلم أن قوله وزن الحصى سيأتي بعده رزين لعلتين :

أحدهما : أن قافية القصيدة توجبه .

والأخرى : أن نظام المعنى يقتضيه لأن الذي يفاخره برجاحة الحصى يلزمه أن يقول في حصاه إنه رزين .

وقول عباس بن مرداس :

هم سودُوا هجنا وكل قبيلَةٍ يبين عن أحسَابهَا مَن يَسُودها

فمن تأمل هذا البيت وجد أوله يشهد بقافيته .

---

(١) من شعراء العصر الاموي المجيدين وكان قوله كله يذهب في البديع كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين ـ توفي عام ٩٠ هـ .

وقول نصيب [١] :

فقد أيقَنْتُ أن ستزولَ لَيلى وتُحجَبَ عنكَ إنْ نَفَع اليَقين

وقول مضرس بن ربعي :

تَمَنَّيتُ أن ألقى سَليما ومالكا على ساعةٍ تُنسي الحَليمَ الأمانيَا

ومن أنواع ائتلاف القافية مع سائر معنى البيت :

الإيغال ·

وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت كما قال امرؤ القيس :

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خِبائنا وأرحلِنا الجزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ [٢]

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكده وهو قوله « الذي لم يثقب » فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه .

وقال زهير :

كأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كل منزل نزَلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ [٣]

(١) نصيب شاعر اموي مشهور توفي عام ١٥٥ هـ ـ ونصيب الاصغر شاعر من مخضرمي الدولتين توفي عام ١٧٥ هـ ·

(٢) الجزع : بكسر الجيم وفتحها الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض قد شبهت به العيون ·

(٣) الفتات : ما تفتت من الشيء · وزهير من أعلام الشعراء الجاهليين، وكان حكيم الشعراء في الجاهلية ـ توفي نحو عام ١٣ هـ (الخزانة ١/٣٧٥، الشعر والشعراء ١/٨٦ ـ ١٠٣ ، وغيرها) ·

فالعهن هو الصوف الأحمر ، والفنا حب تنبته الأرض أحمر فقد أتى على الوصف قبل القافية لكن حب الفنا إذا كسر كان مكسره غير أحمر فاستظهر في القافية لما أن جاء بها بأن قال « لم يحطم » فكأنه وكد التشبيه بإيغاله في المعنى .

ومثله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفُهُ   تقولُ هَزيزُ الريح مرّت بأثابِ[1]

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية لأنه يكفي أن يشبه حفيف جري الفرس بالريح ، فلما أتى بالقافية أوغل إيغالاً زاد به في المعنى وذلك أن الأثاب شجر للريح في أغصانه حفيف شديد . ومما يدل على أن المعاني قد كانت في نفوس الناس قديماً أن أبا العباس محمد بن يزيد النحوي [2] قال حدثني الثوري قال قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً أو ينقضي كلامه قبل القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذي الرمة حيث يقول :

قف العيسَ في أطلال مية فاسأل   رُسُوماً كأخلاق الرداء المسَلسَلِ[3]

فتم كلامه قبل المسلسل ثم قال المسلسل فزاد شيئاً ثم قال :

أظن الذي يُجدي عليكَ سُؤالَها   دُموعاً كتبديد الجُمَان المفصَّلِ[4]

فتم كلامهم ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً ، قال قلت : ونحو من ؟ قال : الأعشى حيث قال :

---

(١) الشأو : الامد والمسافة : هزيز الريح : صوته ودويه والبيت لامرىء القيس .

(٢) هو المبرد صاحب الكامل توفي عام ٢٨٥ هـ .

(٣) العيس : بالكسر الابل الابيض يخالط بياضها شقرة .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

كناطِح صَخرةٍ يوماً ليَفلِقها فلم يَضِرْها وأوْهى قَرنَه الوَعِل[1]

فتم مثله إلى قوله « قرنه » ثم احتاج إلى القافية فقال « الوعـل » مفصلاً على كل ما ينطح ، قال : كيف ؟ قال : لأنه ينحت من قلة الجبل على قرنه فلا يضره .

(١) ليفلقها : يروى ليوهنها • الوعل : تيس الجبل والاعشى هو أبو بصير ميمون بن قيس توفي عام ٧ هـ (الاغاني ٨ / ٧٤ ـ ٨٢ ـ المؤتلف ١٢ ـ الخزانة ١ / ٨٣ الشعر والشعراء ١ / ٢١٢ ـ ٢٢٣ ـ معجم الشعراء ٤٠١ و ٤٠٢ ـ رغبة الامل ٤ / ٧٠ ـ معاهد التنصيص ١ / ١٩٦) •

الفصل الثالث

وإذ قد أتيت على ما ظننت أنه نعت للشعر وعددت أجناس ذلك وفصلت أنواعه ، فالآن أحب أن ابتدىء بذكر عيوب الشعر وأذكر أجناس ذلك على الترتيب الذي رتبت النعوت عليه وتحسب تلك السياقة .

عيوب اللفظ

أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة ، وقد تقدم من استقصى هذا الباب ، وهم واضعو صناعة النحو ، وأن يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلم به إلا شاذاً ، وذلك هو الحوشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له وتنكبه إياه فقال: كان لا يتتبع حوشي الكلام .

وهذا الباب مجوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن لكن من شعرائهم من كان أعرابياً قد غلبت عليه العجرفة ومست الحاجة إلى الإستشهاد بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن يأتي به إلا على جهة التطلب والتكلف ، لما استعماله منه لكن بعادته ، وعلى سجية لفظه ، فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع مثل شعر أبي حزام غالب بن الحارث العكلي وكان في زمن المهدي وله في أبي عبيدالله قصيدة أولها :

تذكرْتُ سَلمَى وإهلاسَهَا فلَم أنْسَ والشَّوْقُ ذُو مَطْرُؤُه[1]

وفيها يقول :

فحَيَّ الوزيرَ إمامَ الهُدَى وهو بالأربِ ذُو مَحجُؤَه[2]

---

(١) راجع القصيدة في الموشح للمرزباني ص ٣٥٤ .

(٢) فحي بالارب ، الموشح .

يَسوسُ الأمورَ فتأتي لَــهُ ومــا في عَزيمتِــهِ مَتهُوَّه
وَفى بالأمانةِ صَفوَ التقــى ومَا الصفو بالرِّنقِ المحمُوَّه
وعِنْدَ معاويهْ المصْطَفــى حيّــا غيرُ ماجٍ ولا مَطرُوَه
فقَالَ الوزيرُ الأمينُ انظِموُا قريضا عويصا على اللؤلُوَّه
فقَيَّدْتُ مرتفِقــا وَحيَــه بغيرِ انصبَابٍ إلى المشكُوَّه
سَعيدي من الحق ذُو فِطنَــة معِــي في العَواقِب والمبدُوَّه
بُيوتاً عليَّ لهَا وجهــةٌ بغيرِ السِّنَادِ ولا المكفُوَّه

ومثل شعر أحمد بن جحدر الخراساني في مالك بن طوق ، ويقال إنها لمحمد بن عبد الرحمن الغربي الكوفي في عيسى الأشعري :

هيَا منزِلَ الحي حيثُ الغضَا سلامُكَ إنَّ النَّوى تصرِمُ
وَيَاطَلاً آية مَــا ارْتَمَــت بليلاكَ غُربتُهَــا المرجَمُ
حلَفْتُ بمَا أرقلَــت نحــوَه هَمَرْجلَةٌ خلْقُها شَيْظَمُ[١]
ومَا شَرَقَتْ من تنُوفيَّــةٍ بهَا من وَحي الجِن زِنْزَزمُ[٢]

فبلغني أنه أنشد ابن الأعرابي هذه القصيدة فلما بلغ إلى ههنــا قال له ابن الأعرابي إن كنت جاداً فحسيبك الله .

ومنها :

لأمٌ لكم تَجنَتْ مالِكــاً من الشَّمس لو نجلتْ أكــرمُ
ومن أين مثلك ؟ لا أين هو ؟ إذا الريقُ أقفرَ منهُ الفَمُ[٣]

---

(١) الهمرجلة : السريعة • الشيظم : الطويل الجسم •

(٢) بها من وحى الجن : يروى في الموشح نقلاً عن هذا الكتاب من وحا الجن •

(٣) اقفر منه : ذهب منه •

ومن الأعراب أيضاً مَن شعرُه فظيع التوحيش ، مثل ما أنشدناه أحمد بن يحيى عن أبي الأعرابي لمحمد بن علقمة التميمي ، يقولها لرجل من كلب ، يقال له ابن الفنشخ وورد عليه فلم يسقه :

أفرخْ أذا كَلْبٍ وأفرخْ أفرخِ   أخطأتَ وَجهَ الحق في التَّطخطُخِ[1]
أما وربّ الرّاقصاتِ الزُّمّخِ   يخرجْنَ ما بينَ الجبالِ الشُمّخِ[2]
يزُرنَ بيتَ اللهِ عندَ المصرخِ   لتطمِخَنَّ بِرَشَا مُمَطَّخِ[3]
ماء سوى مائيَ يا ابن الفَنْشَخِ   أو لَتَجيئَنَّ بوشيٍ بخْ بخِ[4]
من كيسٍ ذي كيس وضأنٍ منفَخِ   قد ضمَّهُ حَولَيْنِ لم يُسَنَّخِ
صم الصَّماليخ صماخَ الأصلَخِ

ومن عيوب اللفظ :

المعاظلة :

وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته لها أيضاً حيث قال وكان لا يعاظل بين الكلام ، وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة فقال مداخلة الشيء في الشيء ، يقال تعاظلت الجرادتان وعاظل الرجل المرأة إذا ركب أحدهما الآخر وإذا كان الأمر كذلك فمن المحال أن تنكر مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه من وجه أو في ما كان من جنسه وبقي النكير إنما هو في أن يدخل بعضه في ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وما أعرف ذلك إلا فاحش الإستعارة .

---

(١) افرخ اذا كلب ٠ وافرخ : سكن ٠

(٢) الزمخ : المتكبرين ٠ الشمخ : العالية ٠

(٣) المصرخ : الميت والمعين ٠

(٤) بخ بخ : عظيم ٠ وبخ تقال وحدها وتكرر ٠

مثل قول أوس :

وَذاتُ هدْمٍ عارٍ نواشرُهَـا　　تُصمت بالماءِ توْلبـاً جدعا [1]

فسمى الصبي تولباً وهو ولد الحمار .

ومثل قول الآخر :

وَمَا رَقَدَ الوِلدانُ حتى رَأيتَهُ　　علىالبَكْر يَمتَريه بِسَاقٍ وحافرِ [2]

فسمى رجل الإنسان حافراً فإن ما جرى هذا المجرى من الإستعارة قبيح لا عذر فيه .

وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين أشيـاء مـن الإستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير إذا كان مخرجهـا مخرج التشبيه .

فمن ذلك قول امرىء القيس :

فقلتُ لهُ لمَّا تَمَطَّى بِصُلبِهِ　　وأرْدَفَ أعجَازاً ونَاء بِكلْكَلِ [3]

فكأنه أراد أن هذا الليل في تطاوله كالذي يتمطى بصلبه لا أن له صلباً وهذا مخرج لفظه إذا تؤمل [4] .

ومنه قول زهير :

صَحَا القلبُ عنسَلمى وأقصر بَاطِلُه　　وعُرِّيَ أفراسالصبَى ورَوَاحله [5]

---

(١) راجع شرح هذا البيت في صفحة ١١٩ واوسق شاعر جاهلي مجيد، وهو أوس بن حجر .

(٢) البكر : الفتى من الابل .

(٣) تمطى : طال . أو تمدد وتطاول بصلبه الارداف . ناء : نهض . الكلكل : الصدر : والجمع كلاكل .

(٤) يعيب قدامة البيت ، وهو في عرف جميع النقاد من أروع الصور الشعرية .

(٥) اقصر : كف . باطله : صباه ولهوه . عرى : ترك .

فكأن مخرج كلام زهير إنما هو مخرج كلام من أراد أنه كما أن الأفراس للحرب وإنما تعرى عند تركها ووضعها فكذلك تعرى أفراس تعرى أفراس الصبى إن كانت له أفراس عند تركه والعزوف عنه [١] .

وكذلك قول أوس بن حجر :

وإني امرُؤٌ أعدَدْتُ للحَرْب بعدَمَا رَأيتُ لها ناباً من الشَّر أعصَلا

فإنه إنما أراد أن هذه الحرب قديمة قد اشتد أمرها كما يكون ناب البعير أعصل إذا طال عمره واشتد .

وكذلك قول عنترة العبسي :

جادَتْ عليها كلُّ بكرٍ حرَّةٍ فتَرَكْنَ كلَّ قَرَارَةٍ كالدرْهم [٢]

وقول طفيل الغنوي :

وحملتُ كُوري خَلفَ ناجيَةٍ يقتَاتُ شحمَ سَنَامها الرَّحلُ [٣]

وقول عمرو بن كلثوم :

ألاَ أبلغ النعمانَ عني رِسالةً فمجدُك حولي واؤمُك قارِحُ [٤]

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

---

(١) يعيب قدامة البيت وهو من أبلغ وأروع الشعر .

(٢) جادت نزلت بكثرة البكر : من السحاب السابق . الحرة من كل شيء خالصه والمراد هنا البيضاء . القرارة : القاع المستدير المنخفض كالدرهم في الاستدارة والبيت من أروع صور التشبيه عند جميع النقاد الا قدامة .

(٣) ما أروع صورة الاستعارة في هذا البيت الذي عابه قدامة .

(٤) القارح : هو الذي انتهت اسنانه وانما تنتهي في خمس سنين لانه في السنة الاولى حولي ثم جدع ثم ثنى ثم رباع ثم قارح .

وإذا المنيّة أنشبَت أظفارَهــا ألفيتَ كلّ تميمة لا تنفعُ [1]

وقول أوس بن معز يهجو بني عامر :

يَشيبُ على لؤم الفِعَال كبيرُها ويُغذَى بثَدْي اللؤم منها وَليدُها

وقال المخبل :

يُعالج عِزاً قد عسا عظم رأسه قَراسية كالفحل يَصْرِفُ بازله [2]

فما جرى هذا المجرى مما له مجاز كان أخف وأسهل مما فحش ولم يعرف له مجاز وكان منافراً للعادة بعيداً مما يستعمل الناس مثله.

★ ★ ★

ولنتبع الكلام في عيوب اللفظ عيوب الوزن .

---

(١) المنية : الموت ٠ انشبت : علقت ٠ التميمة : التعويذة ، والبيت من اجل صور الاستعارة عند الجميع ما عدا قدامة ٠

(٢) القراسية : بالضم وتخفيف الياء الضخم الشديد من الابل ، والصريف صوت يحدث من احتكاك الاسنان : البازل : السن تطلع في وقت البزول ٠ والبزل الشق ٠

الكلام في عيوب الوزن

من عيوبه الخروج عن العروض، وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة إلا أن من عيوبه التخلع ، وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط تزحيفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله إلى الانكسار وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض فيصح فيه ، فإن ما جرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الحلاوة .

وذلك مثل قول الأسود بن يعفر [1] :

إنا ذممنَا على ما خيلَتْ   سَعْدُ بنْ زيد وعمرو من تميم
وضبَّةُ المشتري العَار بنَا   وذاكَ عمّ بنَا غيرُ رحيمْ
لا ينتهُون الدهرَ عن مَولى لنَا   قوْركَ بالبهم حافات الأديم
ونحنُ قومٌ لنَا رماحٌ   وثروةٌ من موالٍ وصميم
لا نشتكي الوصم في الحربِ   ولا نَئنُّ كنَانَات السَّلم

ومثل قول عروة بن الورد [2] :

يا هندُ بنت أبي ذرَاع   أخلفتني ظني وترتني عشقي
ونكحتِ رَاعي ثلَّة ينمرُّهَا   والدهر فَائتهُ بمَا يُبْقي

ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص وفيها أبيات قد خرجت عن العروض البتة ، وقبح ذلك جودة الشعر حتى أصاره إلى حد الرديء ، فمن ذلك قوله :

---

(١) راجع الموشح ص ٨٢،حيث ذكر ان هذه الابيات تنسب لغيره ايضا ٠
(٢) من صعاليك العرب والشعراء في الجاهلية ٠

والمرء مَا عَاشَ في تكذيبٍ   طُول الحيـاة له تعذيـبُ

فهذا معنى جيد ولفظ حسن ، إلا أن وزنه قد شانه وقبح حسنه ، وأفسد جيده [1] ، فما جرى من التزحيف في القصيدة أو الأبيات كلها أو أكثرها كان قبيحا ، من أجل إفراطه في التخليع مرة ، ومن أجل دوامه وكثرته ثانية ، وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط ، وكان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير توال ولا إتساق ، ولا إفراط يخرجه عن الوزن مثل ما قال متمم ابن نويرة :

وَفقدَ بني أمٌ تَداعَوا فلم أكنْ   خلافَهم لأستكين وأضْرَعـا

فأما الإفراط والدوام [فهو] قبيح .

وقال إسحاق يحكى عن يونس [2] أنه قال : أهون عيوب الشعر الزحاف وهو أن تنقص الجزء عن سائر الأجزاء . فمنه ما نقصانه أخفى . ومنه ما هو أشنع وهو جائز في العروض .

قال خالد ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي [3] :

لعلك إمّا أمُّ عمرو تبدّلـتْ   سواكَ خليلاً شاتمي تَستخيرهَا

فهذا مزاحف في كاف سواك ومن أنشد خليلا سواك كان أشنع [4] قال : كان الخيل بن أحمد رحمه الله يستحسنه في الشعر

---

(١) القصيدة من مخلع البسيط وليس في وزنها شيء من القبح . وما حدث فيها من زحاف فهو مقبول .

(٢) من أئمة النحاة توفي عام ١٨٠ هـ .

(٣) صحح بأنه خالد بن زهير وابو ذؤيب خاله (ديوان الهذليين القسم الاول ص ١٥٦) .

(٤) لان القبض في فعولن حسن وفي مفاعيلن قبيح .

إذا قل منه البيت والبيتان ، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمج . قال إسحاق : فإن قيل كيف يستحسن وهو عيب ؟ قلنا : قد يكون مثل هذا الحول واللثغ في الجارية يشتهى القليل منه فإن كثر هجن وسمج ، والوضح في الخيل يشتهى . ويستظرف خفيفة الغرة والتحجيل ، فإذا فشا وكثر كان هجنة ووهنا . قال : وخفيف البلق يحتمل ولم أر أبلق سابقاً ولم أسمع به .



ولنتبع الكلام في عيوب الوزن عيوب القوافي .

الكلام في عيوب القوافي

ولندع ما أتى به لمن استقصى ذلك في ما وصفه في الكتب إذ كان لا أرب في إعادته . ولكنا نتكلم في ذلك بظاهر ما يعرفه جمهور الناس من المعايب التي ليست من جنس ما وضعت فيه الكتب . ولنذكر مما وضع فيها ما كانت القدماء تعيب بــه دون غيره .

فمن ذلك : التجميع :

وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيىء لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه .

مثل ما قال عمر بن شاس :

تذكَّرتُ ليلى لاتَ حين ادّكارُها وقد جنى الأصلاب ضلا بتضلال

ومثل قول الشماخ [1] :

لمنْ منزل عافٍ ورسْم منازل عفتْ بعد عهدِ العاهِدِينَ رياضها

ومن عيوبها : الإقواء :

وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلا وأخرى مخفوضة وهذا في شعر الأعراب كثير جدا ؛ وفيمن دون الفحول من الشعراء ، وقد ارتكبت بعض فحول الشعراء الإقواء في مواضع ، مثل سحيم بن وثيل الرياحي

عتبرتُ البزل إن هي خاطرَتْني فما بَالي وبال ابن اللبُــونِ

(١) شاعر مخضرم توفي عام ٢٢ هـ .

ومَاذا تَبتَغي الشعَراء مِنِّي وقد جاوَزْت حدَّ الأربعينَ

فنون الأربعين مفتوحة ونون اللبون مكسورة ولكنه كأنه وقف القوافي فلم يحركها .

وقال جرير :

عرينٌ مِن عُرينَةَ ليْسَ مِنَّا بَرِئتُ إلى عُرينَة من عرين[1]
عرَفنَا جعفراً وبني عبيــد وأنكرَنا زَعانِفَ آخرينَ[2]

ومنه : الإيطاء :

وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة فإن زادت على اثنين فهو أسمج ، فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزاً كقولك أريد خياراً وأوثر خياراً أي تريد خياراً من الله لك في كذا وخيار الشيء أجوده ، والإيطاء من المواطأة أي الموافقة ، قال الله تبارك وتعالى : ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا .

ومنه : السناد :

وهو أن يختلف تصريف القافيتين ، كما قال عدي بن زيد[3] :

ففاجأها وقــد جمعتْ جُموعاً على أبواب حصن مُصلتينَا
فقدَّمتُ الأديــمَ لراهِشيــه وألفي قولَهَا كذباً ومينَا[4]

---

(١) العرين : مأوى الاسد . وجرير شاعر العصر الاموي وقرين الفرزدق توفي عام ١١٥ هـ .

(٢) الزعانف : جمع مفرده زعنفة . وهي القطعة من القبيلة تشذ وتنفرد أو القبيلة القليلة تنضم الى غيرها .

(٣) شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ، سكن الحيرة والعراق ، وخدم في بلاط كسرى والنعمان بن المنذر ، وكان يحسن العربية والفارسية ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى – وكان نصرانيا ، وعلماء اللغة لا يحتجون بشعره .

(٤) الاديم : الجلد . مينا : كذبا .

وكقول الفضل بن عباس اللهبي :

عبد شمس ابي فإن كنت غضبي فاملئي وجهك المليح خموشا[1]
نحن كنا سكانها من قريش وبنا سميت قريش قريشا

والسناد من قولهم خرج بنو فلان برأسين متساندين ، أي كل فريق منهم على حياله ، وهو مثل ما قالوا : كانت قريش يوم الفخار متساندين ، أي لا يقودهم رجل واحد .

★ ★ ★

ولنتبع ذلك بالكلام على عيوب المعاني .

(١) خموشا : جروحا .

عيوب المعـــاني

قد كنا قدمنا في باب النعوت أن جملتها أن يكون المعنى مواجهاً للغرض غير عادل عنه إلى جهة أخرى ، وبينا من الأغراض التي تنتحيها الشعراء في ذلك الموضع ما إذ حفظ عرف العيب بالعدول عنه ، وبدأنا في باب المديح بأمور جعلناها أمثلة فلا بأس أن نأتي في أمثالها بأمثلة أيضاً .

١ ـ ذكر المديح

لما كنا قدمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنه الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصة به ، لا بما هو عرضي فيه ، وجعلنا مديح الرجال مثالا في ذلك ، وذكرنا أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية كان مصيبا ، وجب أن يكون ما يأتي به من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيبا .

ومن الأمثلة الجياد في هذا الموضع ما قاله عبد الملك بن مروان[1] لعبيد الله بن قيس الرقيات [2] حيث عتب عليه في مدحه إياه ، فقال له : إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مُصعبٌ شِهابٌ من الله تَجلّت عن وجهه الظلْمَــاء

وقلت فيّ :

يأتلِقُ التاجُ فَوقَ مَفرِقِه على جَبينٍ كأنّه الذّهــب

(١) الخليفة الاموي المشهور .

(٢) شاعر الزبيريين السياسي توفي عام ٨٥ هـ وقد قتل عبد الله بـن الزبير عام ٧٥ .

فوجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة ، وقد كنا قدمنا أن ذلك غلط وعيب .

ومنه قول أيمن بن خزيم في بشر بن مروان :

يا ابن الذَّوائب والذُّرَى والأرْؤُس	والفرع من مُضَر العَفرني الأنفس
يا ابنَ المكارم من قريشٍ ذا العُلى	وابنَ الخلائف وابنَ كل قَلمَّسِ
من فَرْعِ آدمَ كابراً عَنْ كابر	حتى انتهيتَ إلى أبيكَ العَنْبَسي
مَرْوانُ إن قَناتَهُ خَطِّيَّةٌ	غُرِسَت أرُومَتَها أعزَّ المَغْرس
وبنيتَ عِنْدَ مَقَام رَبِّكَ قُبَّةً	خضراء كلَّلَ تاجُها بالفسَفس
فسماؤُها ذَهَبٌ وأسفلُ أرْضِها	ورِقٌ تلألأ في البهيم الحَنْدس

فما في هذه الأبيات شيء يتعلق بالمدح الحقيقي وذلك أن كثيراً من الناس لا يكونون كآبائهم في الفضل ، فلم يصف هذا الشاعر غير الآباء ، ولم يصف الممدوح بفضيلة في نفسه أصلا ، وذكر بعض ذلك بناءه قبة ثم وصف القبة أنها من الذهب والفضة ، وهذا أيضاً ليس من المدح ، لأن في الملك والثروة مع الصنعة والفهم ما يمكن معه بناء القباب الحسنة واتخاذ كل آلة فائقة ، ولكن ليس ذلك مدحاً يعتدّ به ، ولا جاريا على حقه ، ومما نذكره في هذا الموضع ليصح به شدة قبح هذا المدح قول اشجع ابن عمرو في المدح بما يخالف اليسار [1] .

يريدُ الملوكَ نَدَى جَعفَرٍ	ولا يَصْنَعُون كما يَصنَعُ
وليس بأوسَعِهِم في الغِنى	ولكنَّ مَعروفَهُ أوسَعُ

فقد أحسن هذا الشاعر حيث لم يجعل الغنى واليسار فضيلة بل جعلها غيرهما .

---

(١) هنا بمدح جعفرا البرمكي ·

وقال ايضاً ايمن بن خزيم في بشر (بن مروان) :

فلو أعطاكَ بِشْرٌ ألفَ ألفٍ وأي حقاً عليه أن يزيدا
وأعقبَ مِدْحَتي سَرْجاً خلنجاً وأبيضَ جَوْزَجانِياً عَقُودا
فإنا قــد وجدْنــا أمّ بشْرٍ كأم الأُسْد مِذْكاراً وَلُودا

فجميع هذا المدح على غير الصواب ، وذلك انه اومأ إلى المدح والتناهي في الجود اولا . ثم افسده في البيت الثاني بذكر السرج وغيره ، ثم ذكر في البيت الثالث ما هو إلى ان يكون ذماً اقرب ، وذلك انه جعل امه ولوداً . والناس مجمعون على ان إنتاج الحيوانات الكريمة يكون اندر .

ومنه قول الشاعر :

بُغاثُ الطَّيرِ أكثرُهَا فِراخَــا وأمُّ الصقْرِ مقلاتٌ نَزورُ[1]

---

(١) بغات الطير : أضعفها ، مقلات : مقلة من الاولاد ، نزور : لا تضع الا نادرا .

٢ ـ ذكر عيوب الهجاء

كما أن معرفة رداءة المدح كانت سهلة جيدة فكذلك عيب الهجاء ، يسهل الطريق إلى العلم به ما تقدم في باب نعته .

وجماع القول فيه أنه متى سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسانية ، كان ذلك عيباً في الهجاء ، مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه. أو صغير الجسم أو مقتّر أو معسر أو من قوم ليسوا بأشراف إذا كانت أفعاله في نفسه جميلة ، وخصاله كريمة نبيلة ، أو أن يكون أبواه مخطئين إذا كان مصيباً ، وغويين إذا وجد رشيداً سديداً ، أو بقلة العدد إذا كان كريماً وعدم النضار إذا كان راجحاً شهماً : فلست أرى ذلك هجاء جارياً على الحق .

ومما يدل على ذلك بعد القياس الصحيح والنظر الصريح أشعار وأقوال أعددها .

فمنها ما أنشدناه أبو العباس أحمد بن يحيى [١] :

رَأَتْ نصفَ أسفَارٍ أمَيمَةَ قاعداً ... على نِصفِ أسفَارٍ يجن جُنُونُها
فقَالت مِن آي الناس أنتَ أتَيتنَا ... فإنَّكَ راعي ثِلَّةٍ لا تَرَيْنَها
فقلْتُ لهَا ليس الشحوبُ على الفتى ... بعارٍ ولا خَيرُ الرجال سَمينها [٢]

فهذا صحيح في أن القبح والشحوب والسماجة ليست بعار .

ومـن هـذا أيضاً قول بعضهم في ابن له إزدراه رجال فمنعهم من نعمه فأغاروا عليها :

---

(١) هو ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .

(٢) الشحوب : تغير لون الوجه من مرض أو هزال .

رَأوه فازْدروه وهْو خرق ويَنْفَع أهلَه الرَّجـل القبيح

ومن أبيات الأول في أن قلة المال ليست عاراً قوله :

عليكَ بِراعي ثِلَّـة مُسْاحبة يروحُ عليه نَحْضُها وحَقينَها
سَمينُ الضَّواحي لم تُؤرِّقه لَيلة وإن عمَّ أبكار الهُموم وعُونُها[1]

وللسموأل [2] في أن قلة العدد ليس عيباً ولا سبة :

تُعيرُنا أنَّا قليلٌ عديدُنـا فقلتُ لها إن الكِرامَ قليـلُ
وما ضَرَّنا أنَّا قليلٌ وجارُنـا عَزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذَليل

فعدى هذ الشاعر عن الهجاء الذي عيرتهم به هذه المعيرة، واحتج فيه بما دل على أنه غير ضائر ، ثـم وصف بعـد ذلك نفسه وقومـه بالأوصاف الـتي تليق بذكرنا إياها في هذا الموضع للمنفعة في تعليم الهجاء الجاري على الصواب فقال :

وإنَّا لَقومٌ ما نرى القتْلَ سُبَّةً إذا مـا رأتْهُ عامرٌ وسَلولُ[3]
يقرب حب الموت آجالَنَا لنَـا وتكرَهه آجالُهـا فتطُولُ
وما مات منَّا سيِّدٌ حتفَ أنفه ولا طُلَّ منَّا حيث مات قَتيلُ[4]
لنَا جبلٌ يحتلهُ مَن نُجيـره منيع يرد الطرفَ وهو كليلُ[5]

---

(١) العون : الكبيرة من البكر ٠

(٢) السموال : شاعر جاهلي يهودي اشتهر بلاميته ٠

(٣) السبة : ما يسب به ٠ وعامر وسلول : عامر بن صعصعة ٠ وبنو سلول هم بنو مرة بن صعصعة التي تنتهي الى قيس بن عيلان ٠

(٤) حتف أنفه : وانما خص الانف بذلك لانه من جهته يقتضي الرمق وحتف منصوبة على الحال ٠ ولا طل منا الخ أي لم يبطل دم قتيل منا ٠

(٥) المراد بالجبل العز والسمو ٠ الطرف : النظر والعين ٠ والابيات للسموأل ، ومات قبل البعثة (الاغاني ١٩ / ٩٨ ـ ١٠٢ ، طبقات ابن سلام ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ، سمط اللآلي ١ / ٥٩٥ ، معجم البلدان ١ / ٨٦ و ٨٧ ، الشريشي ١ / ٣٩٠ ، معاهد التنصيص ١ / ٣٨٨ ـ ٣٩١) ٠

فأتي في هذه الأبيات بالمدح من جهة الشجاعة والبأس والعز ثم قال :

ونُنكِرُ إنْ شئنا على الناس قولَهُم ... ولا يُنكِرون القولَ حين نقولُ
إذا سَيِّدٌ منَّا خلا قَامَ سَيِّدٌ ... قؤُولٌ لما قال الكِرامُ فَعولُ
سَلي إن جَهِلَت الناسَ عنَّا وعنهم ... فليس سواء عالمٌ وجهُولُ

فأتى في هذه الأبيات بالوصف والمدح من جهة العقل والرأي والفهم ، ثم قال :

فنحنُ كماء المُزْن ما في نِصابِنا ... كهامٌ ولا فينا يُعدُّ بخيلُ (١)

فأتى بالمدح من جهة الجود ، وهو أحد أقسام العدل كما بينا ، ثم قال :

صفوْنا فلم نكدر وأخلصَ سرَّنا ... إناثٌ أطابتْ حملنا وفحول

فأتى بالمدح من جهة العفة إذ كان في ذكره طيب الحمل دليل على ذلك . أفلا ترى أن هذا الشاعر لما علم أن المعيرة لم تأت بما يضرهم احتج في ذلك بما يزقل الظنة عنهم ، ثم عمد إلى الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة فأوجبها ، فكأنه أرى بهذا الفعل أن ما قالته المعيرة جاريا على غير الصواب . وأنشد أحمد بن يحيى (٢) في هذا المعنى :

وإني لا أخزَى إذا قيلَ مُملق ... جوادٌ وأخزَى أن يُقال بخيل (٣)

وبلغني أن ابن الزبير لما دخل الشام ناداه أهله يا ابن ذات النطاقين فقال لأبن أبي عتيق : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها . فأبان بهذا القول أنه لا يلزمه ما يقال في أمه . فإذا تؤمل ما ذكرته في هذا الباب لم يبعد الوقوف على عيب الهجاء كيف يتعرف .

---

(١) ماء المزن : المطر وهو أصفى المياه عندهم فشبه صفاء انسابهم بصفاء ماء المطر والمزن : الابيض ٠ الكهام : الكليل الحد ٠
(٢) ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ ٠
(٣) مملق : فقير من املق ٠

٣ ـ عيون المراثي

وأما المراثي ففي ما قدمته في باب نعوتها أيضاً ما أبان عن الوجه في باب عيوبها إذا كان النظر صحيحاً والفكر سليماً .

٤ ـ واما عيب التشبيه

فذاك سبيله أيضاً لمن كان حافظاً لما تقدم من أقوالنا في باب نعوته .

٥ ـ واما عيب الوصف

في المضادة في باب نعوته .

٦ ـ واما الغزل

فالقول فيه كالقول في ما مر من هذه الأبواب إذ كان عيبه إنما هو مضادة ما قدمنا ذكره في باب نعته ، ومن الغزل الجاري على تلك المضادة وفيه – مع أنه مثال في هذا الموضع للعيب – توكيد لما قدمناه في باب النعوت اقول إسحاق الأعرج مولى عبد العزيز ابن مروان :

فلمّا بدَا لي مَـا رَاعَـني   نزعتُ نزوعَ الأبي الكريـمِ

وبلغني أن أبا السائب المخزومي لما أنشد هذا البيت قال : قبحه الله ، لا والله ما أحببتها ساعة قط .

ومثله لنابغة بني تغلب واسمه الحارث بني عدوان :

هجرتَ أمامةَ هجراً طويـلاً   وما كان هجرُك إلا جَميلاَ
على غير بُغضٍ ولا عن قِلىً   وليس حَيَاء وليس ذُهولاَ [1]

(١) قلى الشيء أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

ولكن بخيلنا لبخلك عمـــداً فكيف يلومُ البخيلُ البخيلاَ

ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة ، فإذا كانت جاسية كان ذلك عيباً إلا أنه لما لم يكن عيباً على الإطلاق أمكن أن يكون حسناً إذ كان قد يحتاج إلى الخشونة في مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والبأس والرهبة ، وكان أحق المواضع التي يكون فيها عيباً الغزل لمنافرته تلك الأحوال وتباعده منها .

فمن الكلام المستثقل في الغزل قول عبد الرحمن بن عبد الله القس :

إنْ تنأ دارُك لا أملُّ تذكـــرًا وعليك منِّي رحمـــةٌ وسلام[1]

ومن المستخشن قول هذا الشاعر :

سلاَّمُ ليتَ لساناً تَنطِقين بـــه قبل الذي ناله من صوته قُطعَا

فما رأيت أغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانهـــا حيث أجادت في غنائها له .

---

(١) تنأ : تجد .

فأما العيوب العامة للمعاني

من الأغراض التي ذكرناها وغيرها وعموم ذلك إياهـا كعموم النعوت التي قدمنا وعدد في أبوابها .

فمنها : فساد الأقسام :

وذلك يكون إما بأن يكرروها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر ، أو يجوز أن يدخل أحدهما في الآخر في المستأنف ، وأن يدع بعضها فلا يأتي به . فأما التكرير فمثل قول هذيل الأشجعي :

فَما برحتْ تُومي إليّ بطَرْفِها وتُومضُ أحياناً إذا خصمُها غفل

لأن تومض وتومي بطرفها متساويان في المعنى .

وأما دخول أحد القسمين في الآخر فمثل قول أحدهم :

أبادِر إهــلاكَ مُسْتَهلِــكٍ لمــالي أو عَبثَ العابــثِ

فعبث العابث دخل في إهلاك مستهلك .

ومثل قول أمية بن أبي الصلت :

لله نِعمتُنَــا تباركَ رَبنــا ربُّ الأنام وربُّ من يتأبد (١)

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله من يتأبد : الوحش وذلك أن من لا تقع على الحيوان غير الناطق . وإذا كان الأمر على هذا فمن لا يتوحش داخل في الأنام أو يكون أراد بقوله يتأبد أي يتقوت من الأبد . وذلك داخل في الأنام

---

(١) يتأبد : يتوحش . وأمية شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره وشهد الرسالة ولم يسلم . وتوفي عام ٩ هـ .

وأما أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر فمثل قول أبي عدي القرشي :

غير ما أنْ أكونَ نلتُ نوالا   منْ نَداهَا عَفواً ولا مهنئـا

فالعفو قد يجوز أن يكون مهنئاً والمهنىء قد يجوز أن يكون عفواً وقد ضحك من أنوك سأل مرة فقال علقمة بن عبدة جاهلي أم من تميم فإن الجاهلي قد يكون من بني تميم أو من بني عامر والتميمي قد يكون إسلامياً وجاهلياً .

ومن ذلك قول عبدالله بن سليم الغامدي :

فهبَطتُ سِرْباً ما يُفرِّعُ وحشُه   منْ بين سرْبٍ ناوىء وكنُوس

ناوىء سمين يقال نوىء أي سمن والسمين يجوز أن يكون كانسا والكانس يجوز أن يكون سميناً وهزيلاً . وأما الأقسام التي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه .. فمثل قول جرير في بني حنيفة :

صارت حنيفةُ أثلاثـاً فثُلْثُهم   منَ العبيد وثلثٌ من مَوَالِيهَا

فبلغني أن هذا الشعر أنشد في مجلس ورجل من بني حنيفة حاضر فقيل له من أيهم أنت ؟ فقال : من الثلث الملغى ذكره .

ومن عيوب المعاني : فساد المقابلات :

من كان حافظاً لما ذكرنا من صحة المقابلات في باب النعوت ظهرت له الحال في فسادها ظهوراً أكثر ، وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر إما على جهة الموافقة أو المخالفة فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر أو يوافقه .

مثال ذلك قول أبي علي القرشي :

يا ابنَ خيرِ الأخيارِ من عبد شمس   أنت زينُ الدنيا وغيثُ الجنودِ

فليس قوله وغيث الجنود موافقاً لقوله زين الدنيا ولا مضاداً وذلك عيب .

ومنه قول هذا الرجل في مثل ذلك :

رُحماء لذي الصلاح وضرّابون قدماً لِهامة الصنديد[1]

فليس للصنديد في ما تقدم ضد ولا مثل ولعله لو كان مكان قوله الصنديد الشرير لكان جيداً لقوله ذي الصلاح ، وللعدول عن هذا العيب غير الرواة قول امرىء القيس :

فلوْ أنها نفسٌ تموتُ سويّــةً ولكنها نَفسٌ تساقطُ أنفُساً[2]

فأبدلوا في مكان سوية جميعة لأنه في مقابلة تساقط أنفساً أليق من سوية .

ومن عيوب المعاني : فساد التفسير :

من كان ذاكراً لما قدمناه في باب نعت هذا المعنى عرف الوجه في عيبه ، مثال ذلك إذ جاءني بعض الشعراء في هذا الوقت وأنا أطلب أمثلة في هذا الباب ليستفتيني فيه وهو :

فيَا أيها الحيرانَ في ظلم الدُجى ومَن خاف أنْ يَلقاهُ بغيٌ من العِدى
تعالَ إليه تلقَ من نور وَجهِه ضياء ومن كَفّيْه بحراً من الندى

وقد كان هذا الرجل يسمعني كثير الخوض في أشياء من نقد الشعر ، فيمي بعض ذلك ، ويستجيد الطريق التي أوضحها له ، فلما وقع هذان البيتان في قصيدة له ولاح له ما فيهما من العيب ولم يتحققه صار إلي ، وذكر أنه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم ومن

---

(١) الهامة : رأس كل شيء • الصنديد : السيد الشريف •

(٢) تموت سوية أي تموت مرة واحدة ، ولكنها بغير ذلك فان المرض ينقصها شيئا فشيئا •

ظن أن عنده مفتاحاً وأن بعضهم جوزهما وبعضهم شعر بالعيب فيهما فذكرت له الحال فيهما وأثبت البيتين في هذا الموضع مثالاً ، ووجه العيب فيهما أن هذا الشاعر لما قدم لي البيت الأول الحيرة في الظلم وبغي العدى كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما فأتى بإزاء الظلام بالضياء وذلك صواب وكان الواجب أن يأتي بإزاء العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو بما جانس ذلك مما يحتمي به الإنسان من أعدائه ، فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى ، ولو كان ذكر الفقر أو العدم لكان ما أتى به صواباً ، وقد يتفرع من هذا الباب خطآن إذا وقعا فيه خرجا إلى آخرين من أبواب عيوب الشعر : أحدهما أن يكون هذا الشاعر لو لم يأت بخلاف القسم الثاني مثلاً بل تركه لدخل في باب الخلل ولو لم يتركه بل أتى به وزاد عليه لدخل في باب الحشو ، وقد ذكرنا هذين البابين في مواضعهما .

ومن عيوب المعاني : الإستحالة والتناقض :

وهو أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة ، والأشياء تتقابل على أربع جهات ، إما على طريق المضاف ومعنى المضاف هو الشيء الذي يقال بالقياس إلى غيره مثل الضعف إلى نصفه والمولى إلى عبده والأب إلى ابنه ، فكل واحد من الأب والإبن والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالإضافة إلى الآخر ، وهذه الأشياء من جهة ما إن كان واحد منها يقال بالقياس إلى غيره ، هي من المضاف ، ومن جهة أن كل واحد منها بإزاء صاحبه كالمتقابل له فهي من المتقابلات فإما على طريق التضاد مثل الشرير للخير والحار للبارد والأبيض للأسود ، وإما على طريق العدم والقنية مثل الأعمى للبصير والأصلع وذي الجمة . وإما على طريق النهي والإثبات مثل أن يقال زيد جالس وزيد ليس بجالس ، فإذا أتى

في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لاحق بجميع المعاني ، وأعني بقولي من جهة واحدة أنه قد يجوز أن يجتمع في كلام منظوم ومنثور متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة ويكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض ، مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف أن العشرة مثلا ضعف وأنها نصف لكن يقال إنها ضعف الخمسة ونصف العشرين فلا يكون ذلك محالا إذا قيل من جهتين ، كما لو قيل في إنسان واحد أنه أعمى العين بصيرها فلا محال ، وكذلك في التضاد أن يقال للفاتر حار بالنسبة إلى البارد وبارد بالنسبة إلى الحار فأما عند أحدهما فــلا ، وفي النفي والإثبات أن يقال زيد جالس في وقته الحاضر الذي هو جالس وغير جالس في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام فذلك جائز ، وأما في وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس فلا ، ولهذه العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن ندبة :

إذا انتكثَ الحبــلُ ألفَيْتَــه صبورَ الخبار رزيناً خَفيفا [1]

فلو لم يرد أنه رزين من حيث ليس هو خفيفاً لم يكن مجوزاً .

ومثل ما قال الشنفري :

فدَقّت وجلتْ وأسبَكرت وأكملتْ فاوْ جُنَ إنسانٌ من الحسن جنّت [2]

فإنه إنما أراد دقت من جهة وجلت من جهة أخرى ، فأما لو كان أراد أنها دقت من حيث جلت لم يكن جائزاً ، وقد جاء في الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه وما جمع في ما قيل فيه بين المتقابلات

---

(١) الخبار : ما لان من الارض واسترخى .

(٢) دقت : ضؤلت وصغرت . جلت : عظمت . والشنفري شاعر جاهلي من الصعاليك وهو صاحب لامية العرب .

من جهة واحدة ، ومنه ما تناقض فيه ظاهر يعلم في أول ما يلقى إلى السمع ، ومنه ما يحتاج إلى تنبيه على موضع التناقض .

ومما جاء في ذلك على جهة التضاد قول أبي نواس في الخمر :

كأنّ بقايا ما عفا من حَبَابِهـا　　تفاريقُ شيب في سواد عذارِ[1]

فشبه حباب الكأس بالشيب وذلك قول جائز لأن الحباب يشبه به في البياض وحده لا في شيء آخر غيره ثم قال :

تردَّتْ به ثم انفرى عن أديمها　　تَفَرِّيَ ليـل عن بياض نهارِ[2]

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذراء هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار وليس في التناقض له منصرف إلى جهة من الجهات للعذر لأن الأسـود والأبيض طرفان متضادان وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر ، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض إلا كما يوصف الأدكن في الألوان بالقياس إلى واحد من الطرفين الذي هو واسطة بينهمـا ، فيقال إنه عند الأبيض أسود .

ولعل قومـاً يحتجون لأبي نواس بأن يقولوا إن قوله « تفري ليل عن بياض نهار » لم يرد به لا أبيض ولا أسود لكن الذي أراده إنما هو ذات التفري وانحسار الشيء عن الشيء أسود كان أو أبيض أو غير ذلك من الألوان ، فنقول من يحتج بهذه الحجة تبطل من جهات :

إحداها أن الرجل قد صرح بأنه لم يرد غير اللون فقط بقوله عن بياض نهار .

---

(١) الحباب : الفقاقيع تطفو كأنها القوارير .
(٢) انفرى انشق : أديمها : جلدها .

والثانية تشبيهه الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير البياض .

والثالثة أن الليل والنهار ليس همـــا غير الظلمة والضيـــاء فيظن بالجاهل لهما في وصف من الأوصاف أنه أراد شيئاً آخر فإن القائل مثلا في شيء قد يتبرأ من شيء كما تتبرأ الشعرة من العجين .

وقد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين :

أحدهما [1] أن يظن أنه أراد تبريء الأسود من الأبيض لأن في الشعرة والعجين جسما يجوز أن يتبرأ من جسم وسواداً وبياضاً ، فأمـــا الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط ، فأما جسم يتبرأ من جسم فلا .

ومما جاء من الشعر في التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن ابن عبد الله القس [2] :

فإنّي إذا ما الموتُ حلّ بنفسها　　　يزال بنَفسي قبلَ ذاكَ فأقبر

فقد جمع بين قبل وبعد وهمـــا من المضاف لأنه لا قبل إلا لبعد ولا بعد الا لقبل حيث قال إنه إذا وقع الموت بها وهذا القول كأنه شرط وصفة ليكون له جواب يأتي به وجوابه قوله « يزال بنفسه » قبل ذلك ، وهذا شبيه بقول قائل لو قال إذا انكسرت الجرة انكسر الكوز قبلها ، ومنزلة هذا التناقض عندي فوق منزلة جمع المتقابلين في الشناعة ، لأن هذا الشاعر جعل ما هو قبل بَعداً .

ومما جاء في الشعر على طريق القنية والعدم قول ابن نوفل :

لأعـــلاج ثمـــانيـــةٍ وشيخ　　　كبير السّن ليس بذي ضَرير

---

(١) الوجه الثاني ساقط من الاصل .

(٢) محبوبته (سلامة) كانت تجيد الغناء وهما من العصر الاموي .

فلفظة ضرير إنما تستعمل وهي تصريف فعيل من الضر في الأكثر للذي لا بصر له ، وقول هذا الشاعر في هذا الشعر إنه ذو بصر وإنه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم ، وذلك أنه يقول إن له بصراً ولا بصر له فهو بصير أعمى .

فإن قال قائل : إنه ضرير راجع إلى البصر بأنه أعمى فالعرب أولاً إنما تريد بضرير الإنسان الذي قد لحقه الضر بذهاب بصره لا البصر نفسه ، وأيضاً فليس البصر هو العين التي يقع عليها العمى بل ذات الإبصار وذات الإبصار لا يقال لها عمياء كما لا يقال إن حدة السيف كليلة بل إنما يقال السيف كايل لأن الحدة لا تكل وكذا البصر لا يعمى ولكنه في توسع اللغة وتسمح العرب في اللفظ جائز على طريق المجاز ، وقد جاء في أقوى المواضع حجة وهو القرآن في قوله عز وجل : « إنها لا تعمى الأبصار » ولكنه إذا جاز في البصر أن يقال أعمى فلا أراه يجوز أن يقال فيه مضرور .

وأرى أن مما يدخل في هذا البيت من التناقض قول ابن هرمة :

تراهُ إذا ما أبصرَ الضيف كلبُه   يُكلّمه منْ حبه وهو أعجم [1]

فإن هذا الشاعر أقنى الكلب الكلام في قوله يكلمه ثم أعدمه إياه عند قوله وهو أعجم من غير أن يزيد في القول ما يدل على أن ما ذكره إنما أجراه على طريق الاستعارة فإن عذر هذا الشاعر ببعض المعاذير إذا كانت الحجج كثيرة ، فهلا قال كما قال عنترة :

---

(١) ابن هرمة (٧٠ ـ ١٥٠ هـ) هو ابراهيم بن هرمة ، ساقة الشعراء وآخر من يحتج به منهم ، وهو من مخضرمي الدولتين (الشعر والشعراء ٢ / ٧٢٩ ـ ٧٣١ ـ الاغاني ٤ / ١٠١ ـ ١١٣ ـ الخزانة ١ / ٢٠٣ و ٢٠٤ ـ سمط اللآلي ١ / ٣٩٨ ـ والبيت في حماسة أبي تمام ـ وأمالي المرتضى ٢ / ١٣ و ١٤ ـ وديوان المعاني ١ / ٣٣ ـ وخزانة الادب ٤ / ٥٨٤ ـ والشعر والشعراء ٢ / ٧٣١ ـ الموشح ٢٢٣ ـ والشريشي ٢ / ٣٢١ ـ والحيوان ١/ ٣٧٨) .

فازْوَرَّ من وقْعِ القَنَا بلَبَانِه وشكى إليّ بعَبرةٍ وتَحمحُمِ[1]

فلم يخرج الفرس عما له من التحمحم إلى الكلام ثم قال :

لو كان يَدري ما المحَاوَرَةُ اشتَكَى ولكان لوْ علمَ الكلامَ مكلمي

ومما جاء من الشعر على طريق الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن ابن عبدالله القس :

أرَى هجرهاوالقَتلَ مِثلين فاقصِروا مَلامَكم فالقَتلُ أعفَى وأيْسَرُ

فأوجب هذا الشاعر للقتل والهجر أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله القتل أعفى وأيسر ، فكأنه قال إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله :

وأرى أن هذا الشاعر أراد أن يقول بل القتل أعفى وأيسر ، ولو قال بل لكان الشعر مستقيماً لأن مقام لفظهُ بل مقام ما ينفي الماضي ويثبت المستأنف لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الإثبات ونفيه استحال شعره وليس إذا علمنا أن شاعراً أراد لفظة تقيم شعره فجعل مكانها لفظة تحيله وتفسده وجب أن يحسب له ما يتوهم أنه أراده ويترك ما قد صرح به ولو كانت الأمور كلها تجري على هذا لم يكن خطأ .

وأرى أن مما يجري هذا المجرى قول يزيد بن مالك الغامدي حيث قال :

أكفُّ الجَهلَ عن حُلمَاء قَومي وأعرضُ عن كلام الجاهِلينَا[2]

إذا رَجُلٌ تعرَّضَ مُسْتَخِفا لنَا بالجهل أوشكَ أن يَحِينَا[3]

---

(١) ازور : اعوج . ولهذا اطلقوا على بغداد الزوراء لازورارها عن القلة . الحمحمة : صوت الفرس اذا طلب العلف . او رأى صاحبه فاستأنس اليه والبيت من أجود الشعر وأروعه .

(٢) الجهل : الظلم .

(٣) أن يحينا : ان يقتل .

فقد أوجب هذا الشاعر في البيت الأول لنفسه الحلم والإعراض عن الجهال ونفي ذلك بعينه في البيت الثاني بتعديه في معاقبة الجاهل إلى أقصى العقوبات وهو القتل .

ولأبي نواس أيضاً شيء يشبه هذا وهو قوله :

وَلِيُّ عهدٍ ما لهُ قَرينُ ولا لهُ شَبَهٌ ولا خَدينُ[1]
أستغفرُ اللهَ بلى هارون يَا خيرَ مَن كان ومن يكون
إلا النبيُّ المصطفَى المأمون

فصير هارون شبيهاً بولي العهد ولم يستثن بهارون فكأنه خير منه وليس خيراً منه لأنه شبيهه أو كشبيهه وليس بشبيهه لأنه خير منه وهذا جمع بين النفي والإثبات .

ومما يجري هذا المجرى وقد أنكره الناس وعابوه قول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديَار التي لم يَعْفِهَا القِدَم بلى وغيرها الأرواح والديم[2]

ومن عيوب المعاني: إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه . والفرق بين الممتنع والمتناقض الذي تقدم الكلام عليه أن المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم والممتنع لا يكون ولكن يمكن تصوره في الوهم .

ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع في ما يجوز وقوعه قول أبي نواس :

يَا أمينَ الله عشْ أبداً دُم على الأيام والزّمنِ

---

(١) الخدين : الصاحب .

(٢) لم يعفهما : لم يبلها ويدرسها ويمح اثر قدمها .

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله « عش أبداً » أمراً أو دعاء ، وكلا الأمرين مما لا يجوز ومستقبح .

ولعل معترضاً يعترض هذا القول منا في غذا الموضع فيقول إنه مناقضة لما استجزناه ورأيناه صواباً في صدر هذا الكتاب من الغلو ، ويجعل قول أبي نواس هذا غلواً فيلزمنا تجويزه كما فصلنا تجويز الغلو ونحن نقول إن هـذا وما أشبهه ليس غلواً ولا إفراطاً بل خروجاً عن حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع ، لأن الغلو إنما هو تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له ، لأن الذي يكون قلنا إنه جائز مثل قول النمر بن تولب :

تظلُّ تحفُرُ عنهُ إن ضَرَبْتَ به   بعد الذراعين والسَّاقَين والهادي[1]

فليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين والهادي وأن يؤثر بعد ذلك ويغوص في الأرض ولكنه مما لا يكاد يكون . وكذلك ما قلناه في ما قال مهلهل[2] :

فلولا الريحُ أسمعَ مَن بحُجرٍ   صَليل البيض تقرَع بالذُّكور

فإنه أيضاً ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الأصوات من الأماكن البعيدة ولا خارج عن طباع البيض أن تصل ويشتد طنينها بقرع السيوف إياها ولكن يبعد ببعد المسافة بين موضع الوقعة وحجر بعداً لا يكاد يقع وليس في طباع الإنسان أن يعيش أبداً فإنا كنا قد قدمنا أن مخارج الغلو إنما هي على (يكاد) ، وليس في قول أبي نواس « عش أبداً » موضع يحسن فيه لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء أن يقال أمين يكاد أن يعيش أبداً .

---

(١) تقدم البيت وشرحه في صفحة ٩٢ والنمر شاعر مخضرم توفي عام ١٤ هـ .

(٢) مهلهل من قدامى الشعراء الجاهليين وأرقهم غزلا ورثاء وكان قبل امرىء القيس وهو خاله .

ومن عيوب المعـــاني : مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع مثل قول المرار :

وخالٍ على خدّيك يبــدو كأنه   سَنَا البرْق في دعجاءباد دجونها[1]

فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سوداء وما قاربها في ذلك اللـــون والخدود الحسان إنما هي البيض وبذلك تنعت فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى .

ومن هذا الجنس قول الحكم الخضري :

كانت بَنو غالب لأمتهـــــا   كالغيث في كل ساعةٍ يَكِفُ[2]

فليس المعهود أن يكون الغيث واكفاً في كل ساعة .

ومن عيوب المعاني : أن ينسب إلى الشيء ما ليس له .

كما قال خالد بن صفوان [3] :

فإن صورةٌ راقتْكَ فاخبُر فربما   أمرَّ مذاقُ العود والعودُ أخضر

فهذا الشاعر بقوله « أمر مذاق العود والعود أخضر » كأنه يومىء إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذباً أو غير مر ، فهذا ليس بواجب لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر.

★ ★ ★

ولنتبع ما تكلمنا به في عيوب المعاني بما في الأقسام الأربعة المؤتلفة من ذلك .

---

(١) الدعجاء : أو المحاق وهي ليلة ثمانية وعشرين . دجونها : الدجن: المطر الكثير .

(٢) يكف : يقطر .

(٣) من بلغاء الدولتين الاموية والعباسية وهو تميمي منقري ، كان من أعلام الخطباء ، توفي عام ١٣٣ هـ (أمالي المرتضى ٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٣ ، الوفيات ٢/٢٢٥ و ٢٢٦ ، المعارف ٤٠٣ ، نكت الهميان ١٤٨ و ١٤٩) .

عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى

فمنها : الإخلال :

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى ، مثال ذلك قول عبيدالله ابن عبدالله بن مسعود :

أعاذل عَاجِلُ مالي أحبُّ إليّ ... مــن الأكثر الرّائــث

فإنما أراد أن يقول عاجل مالي مع القلة أحب إليّ من الأكــثر البطيء فترك مع القلة وبه يتم المعنى .

ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

عجبتُ لهمُ إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلُهم عند الوَغى كان أعذرَا

وإنما أراد أن يقول عجبت لهم أن يقتلون نفوسهم في السلم ومقتلهم عند الوغى أعذر فترك « في السلم » .

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة :

والعيْشُ خيرٌ في ظِلال ... النّوك ممن عاش كدًّا (١)

فأراد أن يقول « والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقل » ، على أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخر ، وهو أن الذي يظهر أنه أراده هو أن يقــول : إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل فأخل بشيء كثير .

ومن هذا الجنس نوع آخر ، وهو كما قال بعضهم :

---

(١) النوك : بالضم والفتح الحمق والجنون ، والحارث من شعراء المعلقات المشهورين .

لا يرمضُونَ إذا حرَّتْ مَشَافِرُهم ولا ترى منهم في الطّعن ميّالا[1]
ويفشلونَ ، إذا نَادى رَبيئُهم ألاَ اركَبنَ فقد آنستُ أبطَالاَ [2]

فأراد أن يقول ولا يفشلون فحذف « لا » فعاد إلى الضد .

★ ★ ★

ومن عيوب هذا الجنس[3] عكس العيب المتقدم، وهو أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى .

مثال ذلك قوله :

فمَا نطفةٌ من ماء مَحْضٍ عُذَيبَةٌ تمتّعَ من أيدي رُقاة تَرُومُهَا
بأطيبَ مِن فيهَا لو انكَ ذُقتَه إذا ليلةٌ أسجَت وغَارت نجومُها[4]

فقول هذا الشاعر « لو أنك ذقته » زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً .

---

(١) رمض النصل يرمضه جعله بين حجرين أملسين ثم دق ليرق .
(٢) الربيء : ما تقدم القوم وسار في طليعتهم وعلا وارتفع عنهم .
(٣) وهو ائتلاف اللفظ والمعنى .
(٤) اسجت : سكنت .

عيوب ائتلاف اللفظ والوزن

منها : الحشو :

وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن .

مثال ذلك ما قال أبو عدي العبشمي :

نحن الرؤوسُ ومَا الرؤسُ إذا سَمَت   في المجد للأقوام كالأذنَــاب

فقوله « للأقوام » حشو لا منفعة فيه .

وقال مصقلة بن هبيرة :

ألِكني إلى أهل العراق رسالةً   وخُص بهَا حُيِّيتَ بكر بن وَائل[1]

فقوله « حييت » حشو لا منفعة فيه .

ومنها : التثليم :

وهو أن يأتي الشاعر بأشياء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص منها .

مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت :

مَا أرى مَن يُغيثُني في حيَــاتي   غيرَ نَفسي إلا بَني إسرال [2]

وقال في هذه القصيدة :

أيمَا شَاطنٍ عَصَاه عــــداه   كم تلقى في السِّجن والأكبَال[3]

(١) الكنى : ارسلني .

(٢) اسرال : اي اسرائيل وامية شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره ـ ادرك الاسلام ولم يدخل فيه ـ مات عام ٩ هـ .

(٣) الاكبال : القيود .

وقال علقمة بن عبدة :

كأنَّ إبريقهم ظبيٌ على شرف مُفَدَّمٌ بسبَا الكتَّان ملثوم(١)

أراد بسبائب الكتان فحذف للعروض .

وللبيد :

درس المنا بمتالع فأبَان

أراد بالمنا بالمنازل .

★ ★ ★

ومنها : التذنيب :

وهو عكس العيب المتقدم ، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها ، مثل ما قال الكميت :

لا كعَبد المليك أو كيزيـد أو سُليمان بعدُ أو كهشَام

فالملك والمليك إسمان لله عز وجل ، وليس إذا سمي إنسان بالتعبد لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر ، كما أنه ليس من سمى عبد الرحمن هو كمن سمى عبدالله .

★ ★ ★

ومن هذا الجنس : التغيير :

وهو أن يحيل الإسم مـن حاله وصورته إلى صورة أخرى إذا اضطره الوزن إلى ذلك .

كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام

ونسْجِ سُليم كل قصاءَ ذائلِ

---

(١) مقدم : من الفدام وهو السداد .

وكما قال آخر :

مِنْ نسجِ داودَ أبي سلاّمِ

★ ★ ★

ومنه : التعطيل :

وهو أن لا ينتظم نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة [1] :

وبلّغ نُميراً إن عرضتَ ابنَ عامر فأي أخٍ في النّائبات وصاحب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله « إن عرضت »

وكما قال أبو عدي القرشي :

خيرُ راعي رعيةٍ سرهُ اللهُ هشامُ وخيرُ مأوى طريدِ

---

(١) سيد بني جشم وشاعرهم وفارسهم – قتل عام ٨ هـ (الاغاني ٢/٩ – ١٩ – الشعر والشعراء ٢/٧٢٥ – ٧٢٩ – الخزانة ٤٦١/٣ و ٤٦٢ – الروض الانف ٢ / ٢٨٧) .

عيوب ائتلاف المعنى والوزن معاً

منها : المقلوب :

وهو أن يضطر الوزن الشاعر إلى إحالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به .

مثال ذلك لعروة بن الورد [1] :

فلَوْ أني شهدتُ أبا سُعَادٍ غَداةَ غدا بمهجتِهِ يفُوقُ
فَدَيتُ بِنَفسِهِ نَفسي ومَالي ومَا آلوكَ إلا مَا أطيقُ

أراد أن يقول فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى .

وللحطيئة :

فَلَمّا خَشيتُ الهونَ والعيرُ ممسِكٌ على رَغْمِهِ ما أثبت الحبل حافرَه

أراد الحبلَ حافرُه فانقلب المعنى .

ومنها : المبتور :

وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني .

مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان عليَّ أمري ومن لك بالتدبر في الأمور

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى ولكنه أتى بالبيت الثاني فقال :

إذاً لملكتُ عصمةَ أم وهبٍ على ما كان من حسك الصُّدور [2]

فالمعنى في البيت الأول ناقص فأتمه في البيت الثاني .

---

(١) من الشعراء الصعاليك الجاهليين المشهورين .

(٢) الحسك : نوع من النبات له ثمر كالحصا شائك وهذا كناية عن شدة الغيظ الكامن في نفسه .

عيوب ائتلاف المعنى والقافية

منهــا أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاستعمل معنى سائر البيت :

مثل ما قال أبو تمام الطائي [1] :

كالظبية الأدماء صافَتْ فارتعت زَهــر القرار الغَضّ والجثجاثا

فجميع هذا البيت مبني على طلب هذه القافية وإلا فليــس في وصف الظبية بأنها ترتعي الجثجاث كثير فائدة ، لأنه إنما توصــف الظبية بأنها ترتعي الجثجاث إذا قصد نعتها بأحسن أحوالها ، بأن يقال إنها تعطو [2] الشجرة لأنها حينئذ تكون رافعة رأسها وتوصف بــأن ذعراً يسيراً قد لحقها ، كما قال الطرماح [3] :

مثل ما عاينت مخروفــة نصها ذاعر روع مــؤام

فأما بأن ترتعي الجثجاث فلا أعرف له معنى في زيادة الظبيــة لا سيما والجثجاث ليس من المراعي التي توصف بأن ما يرتعي يؤثره .

ومن عيوب هذا الجنس : أن يؤتى بالقافية لأن تكون نظيرة لأخواتها في السجع ، لا لأن لها فائدة في معنى البيت .

كما قال علي بن محمد البصري :

وسابغة الأذيال زغف مفاضة تكنفها مني النجاد المخطط

---

(١) من أشهر الشعراء العباسيين (١٩٠ ـ ٢٣١ هـ) .

(٢) أي تتناول .

(٣) من شعراء الخوارج في العصر الاموي توفي عام ١٢٥ هـ وديوانه بتحقيق عزة حسن (طبع دمشق ١٩٦٨) .

فليس لأن يكون هذا البجاد [1] مخططاً صنع في صفة الدروع وتجويد نعتها ولكنه أتى به من أجل السجع .

ومن هذا الجنس قول أبي عدي القرشي :

ووقتَ الحتوفَ من وارث وال وأبقاك صالحاً ربُّ هود

فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل إلى أنه رب هود أجود من نسبته إلى أنه رب نوح ، ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع لا لإفادة معنى بما أتى به منه ..

والله أعلم .

إنتهى كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر
المتوفى عام ٣٣٧ هـ — ٩٤٨ م

---

(١) البجاد : ثوب غليظ .

الكلمة الاخيرة .. بقلم المحقق



حمداً لله وشكراً على ما أعان ووفق وسدّد ؛ له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء الحسن الجميل .

وصلاة وسلاماً على رسوله النبي العربي المبين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذا هو كتاب « نقد الشعر » لقدامة ، في ثوب جديد ، وتقديم طريف ، وتحقيق دقيق ، وتعليق مفيد .

أرجو بذلك كله أن أكون قد حققت الهدف الذي قصدت إليه وأصبت الغرض الذي ألقيت برحلي لديه .

والقارىء يعرف مدى الصعوبة في تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه ، لأنه أصل من أهمّ أصول تراثنا في النقد القديم ، ولأنه أقام مذهباً جديداً في النقد ، فأسس منهجاً موضوعياً في الحكم على الشعر وتقييمه .

وأسأل الله التوفيق والسداد ، وما توفيقي إلا بالله .

المحقق

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

